شاليه ٧

رواية

كريم جمال

دار بيوند للنشر والتوزيع
٤ ش كمال حسين متفرع من ومبي الهرم
٠١٠٩٦٩٠٠٠٠٧
Beyond.dbh@gmail.com
جميع الأراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي كاتبها .ولا تعبر بالضرورة عن رأي دار النشر

الكتاب: شاليه ٧

المؤلف: كريم جمال

الطبعة: الاولى

تصنيف الكتاب: رواية

تصميم الغلاف: محمد مجاهد

التدقيق اللغوي: أحمد محمد عبد الستار

الإخراج الداخلي: صبرينة غلمي
رقم الإيداع: ٢٠١٨ / ٢٢٣٩٤

الترقيم الدولي: ٨-٢٨-٦٦٤٥-٩٧٧-٩٧٨

دار (بيوند) للنشر والتوزيع

رئيس مجلس الإدارة — **محمد عز الدين**

المدير العام — **صبرينة غلمي**

+٢ ٠١٠٩٥٦٠٠٠٠٧

beyond.dbh@gmail.com

" إهـداء إلى أخي الصـغير وداعمي الأول لإخـراج هـذا العمـل المتواضـع إلى النـور وإهداء إلى كل من أشعل في طريقي شعلة من الأمل لتـدفعني إلى الخـروج من نفقي المظلم.. "

"من رحم المعاناة.. يولد الإبداع "

مثل فلسطيني

الفصل الأول

بداية الرحلة

الخميس ٧ يوليو ٢٠١٦ الساعة ٨ مساء

- مبروك التخرج يا عم خالد.

- الله يبارك فيك ياخويا.. فكرني بقى بالمناسبة دي أول ما نروح أخرج من جروب الدفعة.

- ليه بس ما تخليك.. نسوانك كلهم جوة.

- يا عم نسوان إيه بس صلي على النبي.

- عليه الصلاة والسلام.

- هم دول نسوان! أنا كان الصح أعمل زيك كدا، أدخل وأخرج من المدعوقة دي من غير ما حد ياخد باله مني.. بدل وجع الدماغ دا، دا انت حتى تلاقي محدش افتكر يباركلك النهاردة غيري.

- مقبولة منك يا سيدي.. بس لما هو وجع دماغ أومال بروح أمك كنت بتتنطط هنا وهناك كل يوم مع واحدة طول الأربع سنين اللي فاتوا ليه؟

- تسالي يا عم.. بنغير جو لبعض، وبعدين هو أنا كنت ضربت واحدة منهم على إيدها؟

- خالد يا مِسَلم.. احترم نفسك عشان خلاص كلها شهرين وتلاقي مريم بتقولك تعالى اتقدملي.. أنا بقولك أهو.

- يا عم مريم مين بس دلوقتي أنا هروح أغير البدلة دي وشوفلنا حتة نحتفل فيها.. بس بلاش ونبي أماكن البؤساء بتاعتك دي.. شوفلنا حتة عدلة.

- هتفضل تتنطط عليا كدا وتقولي أماكن بؤساء وهترسي على بلاي ستيشن في الآخر.

- أو أجيب قطعتين من الجنس الناعم وأجيلك على الفيلا المهجورة اللي جدك الباشا سابهالك دي.

- لسه بقولك احترم نفسك يا خرة تقولي قطعتين من الجنس الناعم!

- روح يا علي شوف حالك الله يرضي عليك انت مش وش دلع.. روح هاتلك شوية مكسرات وقضي الليلة على فيلم أبيض وأسود من أفلامك التعبانة دي.

- طب بقولك صحيح.. أنا احتمال كمان يومين كدا أطلع الساحل أفضي دماغي شوية قبل السفر، ما تيجي معايا؟

- لسه ماشيلتش من دماغك حوار سفرية أبوك دا؟

- يا عم أبويا عجز وبقى عايز حد يشيل عنه الشغل، وبعدين حد يجيله فرصة يهج من هنا ويمسك شغل أبوه برة ويقول لأ؟ اخلص ها جاي معايا ولا لأ؟

- يا عم اعتبرني معاك بس هنروح ازاي وهننزل فين؟

- هنروح بعزيزة يا عم احنا لينا غيرها.. يارب تكمل معانا السكة بس.

- ماشي وهننزل فين؟

- فيه قرية كدا كنت بروحها مع جدي فاضية اليومين دول عشان الشتاء خلاص داخل.. فا حجزت هناك شاليه صف أول من البحر، جو من اللي قلبك يحبه يعني.

- حلو دا يا أبو شام.. متعرفش أعمل حسابي في كام طيب؟

- لا مش كتير، أنا دفعت كل حاجة تقريبا مفاضلش غير الأكل.. لو مش هتجبلنا كل يوم مومس من بتوعك هات معاك كام ورقة بمية كدا.

- مومس من بتوعي؟! اللي يسمعك بتقول كدا يلا مايشوفكش وانت قاعد بتحشش كل ليلة على أنغام ليلى مراد.

- خالد.

قطع حوارهم صوت فتاة تنادي (خالد)، فنظر (علي) ليجد مريم في جمال لم يسبق له أن يراها به من قبل.

مريم فتاة في أوائل العشرينيات، ذات بشرة بيضاء وشعر بني ناعم، ترتدي عوينات دائرية وعلى وجهها ابتسامة هادئة، فأجابها خالد:

- إيه يا بنتي فينك طول الحفلة مش لاقيكي؟

- كنت مع بابا.. ازيك يا علي؟

- الحمد لله يا مريم كله تمام.. طيب همشي أنا يا عم خالد ونتقابل بليل بقى عند زيكا نشوف هنروح فين.

- ماشي يا أبو شام.

- سلام.. سلام يا مريم.

- باي.

****

الأحد ١٠ يوليو ٢٠١٦

مع دقة التاسعة صباحا كان قد تأكد علي من وضع آلة الكمان العتيقة التي يمتلكها في سيارته التي تنتمي إلى طراز الستينيات والتي أطلق عليها علي وخالد اسم "عزيزة"، آلة كمان وفيلا من الطراز القديم وسيارة "أنتيكة" وكومة من الكتب إن استمر علي في قراءتها حتى نهاية عمره لن تنتهي.. كلها أشياء قد ورثها علي عن جده "قاسم الشامي" الذي صدق خالد عندما وصفه بالباشا.. كان للحشيش الأولوية بين لوازم السفر التي تجعل الرحلة أكثر متعة.. فعندما تأكد من وجود لفة الحشيش التي قام بشرائها البارحة في "التابلوه" كان قد استعد للاتجاه إلى منزل صديقه خالد حتى يأخذه ويتجهان إلى تلك القرية السياحية التي أشار إليها علي في حواره مع خالد يوم حفل التخرج. بعد قرابة النصف ساعة وصل علي إلى منزل صديقه واتصل به ليخبره أنه ينتظره في السيارة أمام مدخل العمارة، عمارة قديمة لا يمكنك أن ترى جدرانها من كثرة التراب الذي تراكم عليها عبر السنين، تتوسط حيا شعبيا من أحياء الإسكندرية القديمة، حيث كان خالد من أسرة أقل من المتوسطة برغم أنها تنتمي لعائلة كبيرة تسمى بعائلة "مِسَلم"، حيث إن وفاة والده عندما كان في الثامنة من عمره ومرض والدته بسرطان الدم أثرا كبيرا علي الأسرة وعلى خالد بالأخص.. يعمل في محل ملابس حريمي بجانب الدراسة ويقضي أغلب وقته المتبقي إما في المحاولات المستميتة لربح المال حتى يقدر علي تحمل مصاريف المنزل وعلاج والدته أو برفقة صديقه الوحيد من جنس الذكور.. علي، بعد دقائق معدودة وصل خالد بعدما أكد علي جارتهم "أم عبير" أن تهتم بوالدته لحين عودته حتى يبدأ الصديقان رحلتهما الي الساحل الشمالي التي قرروا بدايتها من الصباح الباكر حتي لا يضيعوا على انفسهم نهار

اليوم الأول.. وبعد لحظات ألقى بهم خالد التحية علي صديقه ساد الهدوء في أنحاء السيارة العتيقة التي شهدت قصة حب أجداد علي منذ ما يقرب من ستة عقود زمنية وبدأ علي ذاته في التفكير اللا منتهي في مريم، فمريم لم تكن بالنسبة لعلي حبيبة أعز أصدقائه فحسب، فقد كان علي معجبا بمريم من السنة الأولى لهم في الجامعة وتطور هذا الإعجاب الي حب في السر لم تعرف عنه مريم شيئا بسبب خوف علي ألا يلقى منها القبول عند الاعتراف لها بمشاعره.. حتى جاء الفارس المغوار الذي لا يواجه صعوبة في اقتلاع وردة مثل مريم من جذورها وأخذها.. أخذها من أعز أصدقائه دون أن يعلم بحقيقة مشاعره تجاهها، مع عبور الصديقين منطقة العقارات السكنية واتخاذهم للطريق الصحراوي بدأ خالد في الحديث:

- بقولك إيه ابقي اركنلنا عند أقرب بنزينة عشان عايز أجيب سجاير وأخش الحمام.

- مشختش في بيتكوا ليه يا حيليتها؟

- اخلص.

- ماشي.. هبقي آجي معاك أنا كمان عشان لسه هنتلطع ساعة عند مكتب التسكين.

- نعم بروح أمك؟ انت مش قايل حجزت؟

ظهرت معالم الضيق على وجه علي بينما قال:

- يا بهيم حاجز بس لسه هنستلم مفتاح الشاليه ونعرف شاليه نمرة كام.. مش عزبة اللي جابوني هي.

- اه.. طب كويس عشان البت رنا جاي.

قاطعه علي قائلا:

- لا لا لا بقولك إيه مفيش الكلام دا.. وبعدين دي قرية تبع الجيش يعني مفيش المسخرة دي جوة.

- هنشذوا طول الكام يوم اللي قاعدينهم يعني يا أبو شام ولا إيه ما تعدل كلامك!

- ولا.. عليا النعمة لو ما اتكتمت لأكلم مريم أحكيلها عن اللي كنت ناوي تهببه دا.

- يا عم احكيلها هو أنا هخاف.. بس ياريتها كانت هنا مريم، كنت كرشتك من الشاليه وصورنا فيلم أبيح.. واهي هتبقى حلالي برضه ولا إيه يا مولانا؟

- لو كنت تعرف تعمل معاها حاجة مكانتش جابتك علي بوزك بالشكل دا.

- لو كنت عايز أعمل معاها حاجة كنت عملت.. انت أصلك مش فاهم الحريم يا أبو شام، البت من دول بتفضل ماسكة روحها لحد ما تطمن إن نيتك خير وبعد كدا سيب الباقي علي الشيطان.

ظهرت معالم الضيق على وجه علي رغم محاولته لإخفائها:

- طب اخرس بقي وانزل.. أدينا وصلنا البنزينة.

****

في تمام الثانية عشر ظهرا كان يمكث في سيارة علي شاب أشقر مفتول العضلات ذو جسد متناسق ولحية قصيرة يعبث بجواله أمام مكتب التسكين الخاص بالقرية منتظرا أن يأتيه علي من الداخل ومعه مفاتيح الشاليه، القرية شبه فارغة من المستأجرين.. فقد لاحظ خالد هذا منذ وصولهما، لا وجود لسيارات مستأجرين أو مظاهر حياة على الشاليهات المحيطة.. لا تسمع أذنه ضجيج أطفال ولا ترى أعينه نساء شبه عاريات، لم يلق هذا الهدوء المبالغ فيه استحسان خالد الذي دائما ما كان يحب أجواء الفرحة والصخب.. ولم يطل انتظاره حيث وصل علي بالفعل بعد دقائق معدودة.

- إيه يا عم الجو دا؟

- ما أنا قولتلك يابني إن القرية هتبقى هادية شوية.

- قولت هادية بس ماقولتش مهجورة.. أنا قولت يمكن قصدك إن مفيهاش فلاحين بس مكنتش أعرف إن مش هيبقى فيها حد خالص!

- وماله يا عم هو حد يكره.. تخيل بقى الجو بليل كدا وانت قاعد على البحر في شاليهك ومعاك بيرتك ودخانك.. في أحلى من كدا؟

- طب بس بذمة أهلك مش المقومات اللي قولتها دي ناقصة حاجة؟

- متوجعليش دماغي بقى.. اقعد لحد بكرة ولو متكيفتش وعايز تروح هبقى اطلبلك عربية تيجي تاخدك يا عم.. خلاص؟

- ما علينا.. المهم جبت المفاتيح؟

- أومال كنت بنيل إيه جوة!!

- طب ما تنجز يابني وتطلع بينا عالمخروب دا مستني إيه؟

- اتكلم بأسلوب أحسن من كدا.

- اننجز!

- طيب.. تقولش ياخويا مارلين مونروه مستنياك هناك؟

****

بعد بضعة دقائق من البحث وصل الصديقين إلى شاليه صغير يحمل لوحة صدئة مخطوط عليها بخط عربي قديم "شاليه ٧" ويطل مباشرة على البحر، برغم أنه لم يكن آخر الشاليهات المتبقية وبرغم أن أغلب شاليهات القرية كانت خالية ولكن كان هذا الشاليه هو الذي اختارته لهم قرعة مكتب التسكين بين كل شاليهات الصف الأول، تحاوطه حديقة صغيرة شبه غارقة في مياه الصرف.. يسكن أرضها الهداهيد الملونة وأمامها ببضعة أمتار الشاطئ، فور خروج العامل الذي أرسله مكتب التسكين ليراجع على نظافة الشاليه واحتياجات مستأجريه الجدد بدأ الصديقان في استخراج أجهزتهم المحمولة وبعض ملابسهم من الحقائب حتى يبدأوا ممارسة يومهم الأول الذي قرر علي أن يقضيه في الشاليه وقرر خالد أن يقضي نهاره في نزول البحر وليله في مشاهدة مباراة كرة القدم التي تجمع بين قطبي اسبانيا أو ما يسمونها الناس بـ"الكلاسيكو" في كافيتريا القرية، لم يتطلب الأمر كثيرا من الوقت حتى يدرك خالد أن رغبة علي في قضاء اليوم وحيدا في الشاليه لم تأت بسبب أي حساسيات بل إنها عادته منذ زمن فقرر تركه على راحته وعدم مجادلته كثيرا حيث إنه يعلم جيدا أن مجادلة شخص مثل علي لإقناعه بما لا يريد أمر شبه مستحيل.

ذهب خالد ليلحق بساعات النهار الأخيرة في البحر واتجه علي إلى المطبخ لكي يحضر فنجاناومن القهوة ويجلس في شرفة الشاليه حتى يبدأ في قراءة رواية لفتت انتباهه منذ أيام قليلة عندما كان يتنزه وحيداً في "محطة الرمل" أو المنطقة الأكثر اشتهاراً ببيع الكتب والروايات في الإسكندرية، حيث إنه قرر منذ لحظة اقتنائه لها ألا يبدأ في قراءتها إلا عندما يتقابل مع البحر وجها لوجه بعيدا عن ضجة المدينة.

بعد أن انغمس علي في قراءة فاتنته التي فضل اصطاحبها معه دونًا عن كل روايات جده، وبعد أن مضت ساعة ونصف له في قراءتها دون أن يشعر وجد خالد يمضي ناحيته تاركا الشاطئ:

- ما تلحق يابني تنزل الماية شوية قبل ما الشمس تروح.

- مليش مزاج.

- ملكش مزاج ولا تحب أروح اجيبلك حتة بلونداية كدا تاخدك من إيدك وتنزلوا في بعض تفعيص تحت الماية شبه الأفلام الأجنبي بتاعتك؟

قال علي مازحا:

- طب وبلونداية ليه.. ما تيجي انتي يا بيضة.

- لا يا اخويا مليش في الناشف.

- طب روح انت يا عم كازانوفا شوف حالك.. أنا احتمال أقضي باقي اليوم هنا.

- طب أنا هخش استحمى وأغير هدومي وأروح أشوف حاجة ناكلها، متعرفش أي مطعم ولا نيلة هنا؟

- اه فيه مطعم وكافيتريا في مدخل القرية، انت مش قولت في ماتش باين؟

- اه كمان ساعتين، هروح أجيب حاجة تتاكل من هناك في السريع وأبقى أرجع أشوفه بعد ما ناكل.

- لا اضربلك انت أي حاجة هناك لو عايز واقعد لحد الماتش، أنا مش جعان دلوقتي.. ابقى هاتلي معاك أي حاجة وانت راجع بليل بدل ما تروح وتيجي وتروح تاني.

- أحبك يابو شام وانت حساس كدا.

- اوعى تتوه وانت راجع بس.. "شاليه ٧" ها.

- ماشي.

****

ترك علي روايته في ثلثها الأول بعدما قطع خالد اندماجه في أحداثها وانتظر حتى تأكد من خروج خالد من الشاليه ليخرج هاتفه الذكي ويبدأ في الاستماع إلى مذكراته التي لطالما فضل تسجيلها بصوته عن كتابتها ليستشعر من نبرة صوته ما لا يستطع قلمه على الكتابة.

"أنا فرحان أوي.. النهاردة أخيرا خدت الخطوة واتعرفت على أجمل بنت في الدنيا.. مريم، قصدت أخبط فيها واحنا خارجين من السيكشن وأكلمها بأسلوب مش حلو عشان أروح أعتذرلها بعدها ونتعرف، عارف إنها طريقة دبش وكان ممكن أوي متظبطش بس أعمل إيه يعني ما أنا

معرفش حد من شلتها وأخاف أقول لخالد يعرفني عليها لحسن ياخدها هو لنفسه.. هو أنا اه لسه مخدتش منها عقاد نافع بس أهو على الأقل أقدر بعد كدا أنطلها بأي حجة.. أنا هخش أنام بقى وبكرة هبقى أطلب منها أصور منها محاضرات ولا أخترع أي سبب عشان أكلمها.. المهم فتحت معاها سكة، ولد يا علوة طول عمرك والله"

ابتسم علي ابتسامة سخرية من نفسه، أو ربما سخرية من القدر.. ثم ردد قائلا:

"ولد يا علوة اه..".

ترك كرسيه ليتجه إلى غرفة النوم ويخرج كمانه العتيق من صندوقه الخشبي ويتمم على وضع كرسي ثقيل أمام باب الغرفة بعدما تأكد من غلقه جيدا ثم ينهمك في العزف اللا متوقف.. شاب في الثانية والعشرون من عمره يعزف بمهارات أفضل عازفي الكمان في التاريخ، وكأنه قد ولد محتضنًا في يسراه آلة الكمان.

بعد قرابة الثلاث ساعات من العزف اللا منتهي توقف علي عن العزف وأعاد آلة الكمان لصندوقها الخشبي ثم ألقى بجثته فوق أحد فراشي الغرفة واستغرق في النوم العميق.

استيقظ علي على صوت خالد ينادي من خلف الباب:

- علي.. انت يا بني آدم افتح! دا مات دا ولا إيه.. يابني!

فتح علي الباب فبادره خالد قائلا:

- الله يحرقك افتكرتك مت.. كنت بتعمل إيه عندك جوة كل دا وحاطط الكرسي قدام الباب ليه؟

رفع علي صوته قائلا:

- هكون بعمل إيه يعني يا أذكى اخواتك؟ كنت مخمود.. هي الساعة كام؟

- الساعة داخلة على ١٢ بعد نص الليل، عملت إيه في يومك؟

- ولا حاجة.. انت مشيت من هنا وأنا دخلت نمت.

- طب أنا مرضتش آكل من غيرك، هحط الأكل على الترابيزة برة وانت خش اغسل وشك وتعالى.

- ماشي

- بس اعمل حسابك الشاي عليك بعد الأكل.

- حاضر.

انتهى الصديقان من تناول طعامهما ثم ذهب علي إلى المطبخ لتحضير الشاي، بعد دقائق أنهى بهم خالد تنظيف الطاولة وأحضر فيهم علي الشاي شرع خالد في الحديث:

- بقولك إيه الماتش كان فاجر والكافيتريا كلها كانت بتخدم عليا لوحدي.. كانت ناقصاك القعدة والله.

- ما انت عارف بقى مليش في الكورة.

- أومال ليك في إيه بس يا علي.. أنا من يوم ما عرفتك وانت ولا عندك هواية ولا اهتمامات ولا حتى بت تحبها!

- مين قالك؟

- مين قاللي إيه؟

- لا قصدي مين قالك اني معنديش هوايات.. ما الكمانجة متلقحة جوة أهو والروا.. ولا صحيح فين الرواية اللي كانت هنا؟

- شلتهالك جوة كان فيه قطة نايمة عليها.. قولي يا أبو شام صحيح انت عمرك ما فيه بت عجبتك كدا ولا كدا؟ أصلي بدأت أشك فيك الصراحة.

- لا يا سيدي مفيش.. شك براحتك.

- ولا حتى وانت صغير؟

- ولا وأنا صغير.

قال خالد مازحا:

- لا أنا كدا هخاف منك بجد.. طب ألم عزالي وأقوم أروح قبل ما ييجي معاد النوم ولا إيه؟

- ياريت.

ظهرت معالم الضيق على وجه خالد فقال علي محاولًا تهدئة الأجواء:

- خلاص متتقمصش كدا ياخويا وتلويلي بوزك.. بهزر.

- هو انت ليه كدا يا علي؟

- يعني إيه كدا؟

- يعني ليه بتعاملني بالطريقة دي؟

- فيه إيه يابني كل دا عشان رميت كلمة بهزار؟

- لا انت فاهم قصدي كويس.. انت طول عمرك بتعاملني كأني عبء عليك أو مصاحبك غصب، مع إن ربنا عالم بمعزتك عندي والله.

- يلا إيه اللي انت بتقوله دا بس انت أخويا وبعاملك كدا بعشم بس.

- مش مصدقك بس ماشي.

- لا تصدقني غصب عنك.. عشان أنا محبش إن صاحبي الوحيد في الدنيا دي كلها يظن فيا كدا.. وبعدين لو دي طريقتي معاك انت بالذات إيه اللي هيخلي الناس كلها تبعد عني كدا يعني؟

- ماشي يا صاحبي.. مصدقك.

قرر خالد أن ينسحب في هدوء من جلسته مع علي بحجة الذهاب للنوم ليتبعه صديقه بعد أن تمم على غسل الصحون وإغلاق أنوار الشاليه.

الإثنين ١١ يوليو ٢٠١٦

- مع بداية اليوم الثاني وفي تمام السابعة صباحًا استيقظ علي على صوت المنبه المزعج الذي ضبطه خالد قبل أن ينام.

- خالد.. انت يا سي زفت!!

- صباح الخير.

- صباح النور يا سيدي.. اقفل الخرة دا!

- حاضر حاضر..

- هي الساعة كام؟

- الساعة ٧.

- وظابط المنبه يصحينا بدري كدا ليه!

- لا أنا كنت ظابطهولي أنا عشان أقوم أجري شوية عالبحر.. معلش بقى مخدتش بالي إنه هيصحيك انت كمان.

- الله يسامحك يا أخي صحتني من أحلى نومة.

ترك خالد فراشه سائلا:

- طب إيه ناوي تنام تاني ولا أعملك معايا حاجة تشربها؟

- لا خلاص بقى صحيت.. اعملي نسكافيه معاك.

- طب قوم اغسل وشك وحصلني على برة.

- ماشي روح انت وهتلاقيني في ديلك.

التقط علي ملابسه حتى يلحق بخالد، فمن عاداته الأزلية أن ينام بملابسه الداخلية مهما اشتدت برودة الجو، وبرغم إيقاظ خالد له بطريقة مزعجة ولكنه سرعان ما كاد أن يشكره عندما توجه إلى الخارج ورأى أجمل منظر يمكن لأي إنسان أن يراه في بداية يومه، مياه البحر زرقاء وشديدة الصفاء.. لا وجود لجنس البشر، الهداهيد والطيور الملونة تملأ

المحيط والشاطئ ليس به إلا مظلة واحدة بأسفلها مقعد مغروز في الرمال وكأنها تنتظر علي الشامي بالتحديد أن يأتي ويجلس في ظلالها.. سمع علي صوت خالد آت من الخلف:

- امسك النسكافيه.

- تسلم إيدك.

لحظات من الصمت قطعها خالد بقوله:

- بقولك إيه يا أبو شام.. ما تكبر دماغك من حوار السفر دا وتخليك مع أخوك هنا ونفتح أي مشروع سوا كدا والحياة هتبقى جميلة.

- وأبويا يا أذكى اخواتك أعمل فيه إيه؟

- أبوك إيه يا عم هو انت مصدق إنه أبوك بجد؟ واحد راميك من وانت عيل في اللفة وكل اللي بيربطك بيه شوية الفلوس اللي بيبعتهالك كل أول شهر.. حتى فلوسه مبقتش محتاجها من ساعة ما ورثت جد..

قاطعه علي محتجًا:

- خلاص يا خالد مش شغلانة.. ورق السفر خلص بطلوع الروح وأبويا مستني ابنه يروح يمسك شغله هناك، مش بعد كل دا هطلع عيل وأقوله لا معلش قضي نفسك انت أصلي عايز أفضل في البلد وأصيع بفلوسك وفلوس المرحوم.

- على فكرة أنا قولتلك نفتح مشروع مش تصيع بالفلوس.. بس زي ما تحب، هتعمل حاجة النهاردة ولا هتقضي اليوم كله في السرير برضه؟

- هخلص السيجارة وأخش أعمل أي فطار وبعدين هروح أقرا شوية تحت الشمسية اللي هناك دي، وانت ناوي على إيه؟

- زي ما قولتلك هروح أجريلي شوية عالبحر كدا وبعدين هرجع أشوف هعمل إيه باقي اليوم.. يلا هطير أنا بقى، خد موبايلي خليه معاك بدل ما يقع مني يتكسر ولا يجراله حاجة وأنا بجري.

- إشطا.

أنهى علي تحضير فطوره وجلس في الشاليه ليتناوله بينما يشاهد التلفاز، كانت المرة الأولى له في تلك الرحلة أن يجلس في غرفة المعيشة برغم تواجده من قرابة الأربعة وعشرون ساعة في المكان، لم يلحظ الكثير من التغير في المكان عن الصورة التي تسكن في خياله منذ طفولته، فلم يكن خالد يعلم أن هذه ليست المرة الأولى التي يزور فيها علي هذا الشاليه بالتحديد، ولم يكن يعلم أيضا أن هذا الشاليه تم اختياره لهم بالأخص عن طريق مكتب التسكين عندما علموا عن طريق البطاقة الشخصية أن هذا الشاب الذي يجلس أمامهم هو حفيد اللواء قاسم الشامي الذي كان من أول نزلاء القرية منذ إنشائها والذي لطالما كان يفضل استئجار هذا الشاليه بالتحديد ليقضي به إجازاته الموسمية، أنهى علي فطوره في أقل من خمسة دقائق ليأخذ روايته ويتوجه إلى الشاطئ قبل أن يأخذ أحد مكانه تحت المظلة ولكنه سرعان ما تذكر أنه لا يوجد أحد بالقرية بأكملها إلا هو وصديقه وعدد من أفراد الأمن الشباب الذي لا يتعدى عددهم العشرين فردا، ولكن يا ترى من الذي كان يجلس هناك؟ هل لأفراد الأمن حرية قضاء وقتهم في أماكن تواجد المستأجرين؟ ام كان هذا خالد في وقت ما البارحة؟ لا.. فإنه لم يلحظ هذا المقعد ولا المظلة من فوقه عندما كان يجلس مع خالد ليلة البارحة، من الذي سوف

يذهب للجلوس على شاطئ البحر في هذا الوقت المتأخر ما بين الواحدة والسابعة صباحا؟

لم يأبه علي كثيرا لتلك الفكرة وقرر إشباع فضوله بأنه بالتأكيد كان أحد أفراد الأمن المجروحين في السر.. ولم يأخذ دقائق معدودة من وصوله إلى مقعده المنتظر حتى انغمس في القراءة والفواصل القصيرة من التأمل في البحر ما بين الصفحة والأخرى، مضت قرابة الساعة حتى سمع جرس هاتف خالد المحمول يرن.. مريم، تردد للحظات قبل أن يرد ولكنه لم يجد أي سبب منطقي يمنعه عن ذلك.

- ألو.

- أيوة يا مريم أنا علي.

- ازيك يا علي.. هو خالد مش جنبك؟

- لأ هو راح يجري على البحر شوية وسابلي موبايله.

- اه.. طيب لما يرجع خليه يكلمني بليز.

- اه أكيد.. بس هو مال صوتك فيه حاجة؟

- لأ.. ماله صوتي؟

- لالا ولا حاجة.. خلاص هخليه يكلمك أنا لما يرجع.

- أوكيه يا علي.. آسفة لو أزعجتك.

- لا يا بنتي إيه اللي بتقوليه دا.. أزعجتيني إيه بس.

- خلي بالك عليه بس يا علي والنبي.

- من غير ما تقولي يا مريم دا أخويا.. بس اشمعنى يعني في إيه؟

- لا مفيش بس انت عارف خالد يعني دماغه لاسعة وممكن يعمل أي حاجة.

- اه طبعا انتي هتقوليلي.. بس من الناحية دي متقلقيش، مفيش حاجة تتعمل هنا أصلا.

- طيب كويس.. يلا باي.

- باي.

عند إنهاء علي مكالمته القصيرة مع مريم وجد خالد يمضي ناحيته ويظهر الإجهاد في ملامحه:

- كنت بتكلم مين من موبايلي؟

- دي مريم.. كانت بتسأل عليك وقالتلي لما تيجي أخليك تكلمها، هو في حاجة ولا إيه؟

- حاجة زي إيه يعني؟

- لا مش عارف بس صوتها مش تمام، زي ما تكون بتعيط أو معيطة قبل ما تتصل.

- لا متشغلش بالك هبقى أكلمها أنا أشوف مالها، انت هتخلص البتاعة اللي في إيدك دي امتى؟

- لسه فاضلي نصها تقريبا، خش شوف حالك انت ولو عوزتني هتلاقيني قاعد هنا

- ماشي .

مع دقة الواحدة ظهرا كان قد أنهى علي آخر سطور روايته وهو في حيرة لا يحسد عليها، لم تكن نهاية الرواية واضحة أو مرضية للقراء الذين لا يفضلون النهايات المبهمة مثال علي، هل كانت البطلة حقيقة أم مجرد وهم يسكن في خيال البطل؟ لم يوضح الكاتب تلك النقطة بشكل مباشر.. لا يوجد دليل واحد على أنها حقيقة والعكس صحيح.. فهل يظن هذا الكاتب اللعين أنه سوف ينتزع قلوب القراء وستتصدر رواياته قائمة الأكثر مبيعا عندما يتلاعب بعقول الناس؟ خرج علي من دوامة تفكيره بلفظ خارج في حق الكاتب برغم استمتاعه الشديد بكل فصول الرواية وانتقل من التفكير في بطلة الرواية إلى التفكير في مريم ثم انتقل أيضا من سباب كاتب الرواية لسباب أعز أصدقائه.

فماذا فعل ذاك المعتوه بها لكي يجعلها بتلك الحالة؟ لم يسبق لعلي أن استشعر هذه الكسرة في نبرة صوت مريم، وليس له أدنى الحق أن يتدخل فيما لا يعنيه ويسألها عن السبب.. وليس أيضا بالجرأة الكافية ليسأل خالد في وقت لاحق حتى لا يثير شكوكه حول اهتمامه الزائد بها، وجه علي نظره للأسفل بانهزام للحظات وما كان يرفع عينه حتى يعود لموضعه الطبيعي لمح آثار محاولات انتحار على معصمه، لم يمض وقتًا طويلًا على آخر محاولة منهم، والغريب في الأمر أنه لم يرد في أي محاولة منهم الموت حقا، فإنه كان دائما ما يقطع جلده بشكل سطحي حتى لا يسبب أي نوع من أنواع الأذى لعروقه، لذلك فهو لا يعلم الدافع الحقيقي الذي كان يتملكه عندما يفعل ذلك ولكن هذا الفعل لطالما ما كان

يشعره براحة نفسية لم يذق طعمها منذ طفولته، ربما كان يريد تعذيب نفسه لندمه على شيء ما قد فعله.. أو ربما كان يريد أن يشغل نفسه في الألم الجسدي حتى يخرج من الألم النفسي كما يشاع عند المراهقين في الدول الأجنبية الذين غالبا ما يكون دافعهم الحقيقي هو لفت الانتباه.

قرر علي أن يتمتع بآخر ما تبقى له من وقت على هذا المقعد قبل أن يعود للشاليه ويتقابل مع أكثر شخص يريد تهشيم عظامه في هذا الحين فأخرج هاتفه الجوال وسماعات أذنه وبدأ في استنقاء ما يسمعه من قائمة موسيقته التي ساد عليها الطابع الكئيب في السنوات الأخيرة.. ولكن لفت انتباهه تسجيلا صوتيا لأحد مذكراته التي تم تسجيلها قبل قرابة العام، تردد قليلا عندما تذكر أحداث تلك الفترة ولكنه قرر انتهاز فرصة وجوده في هذا المكان وحده وقرر الاستماع.

"مش عارف في إيه.. حاولت معاها بكل الطرق ومش نافع، عارف إن الحاجة الحلوة مش بتيجي بسهولة بس بدأت أحس إنها مش هتيجي خالص.. مريم مش واخدة بالها مني زي ما يكون اللي بعمله عشان أوصلها في غيري كتير بيعملوه، هو أنا وحش طيب؟ مش كويس كفاية إنها تديني فرصة يمكن؟ طب ما يمكن برضه هي مش واخدة بالها لسه.. أنا بفكر أقول لخالد يساعدني وآخد الريسك بقى وخلاص، أصل معنديش حل تاني.. وهو أكيد مش هيسيب كل البنات اللي بتجري وراه وعينه هتزوغ على البنت اللي أنا عايزها يعني ولا إيه.."

أغلق علي التسجيل عند نهايته ولمح بطرف عينه تسجيلا آخرا بتاريخ اليوم التالي ولكنه قرر أن يؤجل سماعه الي وقت آخر.. ربما لأنه كان يعلم جيدا ما بداخله، نظر إلى ساعته ليجدها الثانية إلا ربع ظهرا، فقرر العودة إلى الشاليه وتجنب الاحتكاك بخالد حتى لا تظهر عليه أي

مشاعر احتقان من الآخر، عند دخوله الشاليه سمع صوت خالد آت من المطبخ فقرر الخلود إلى النوم دون أن يتقابل معه.

أحلام ممنوعة اعتاد علي أن يراها في كل مرة يخلد فيها إلى النوم بعد التفكير في مريم، فالممنوع مرغوب.. وفي العقل الباطن ليس هناك شيء ممنوع.. يرى مريم نصف عارية تجلس فوقه على رمال شاطئ البحر ليلا، تلامس الأمواج أنامل قدمه، تحتضن كل ذرة من أجسادهم قرينتها من جسد الآخر، تقطع أظافرها المخدرة كل بقعة جلد من ظهره دون أن يشعر.. ويمزق بأسنانه أطراف شفتيها كفهد يلتهم آخر غزالة على الأرض أو مصاص دماء طال صيامه لسنوات.

تحولت في أذنه نبرة صوت آخر كلمات مريم إلى نبرة صوت خالد.

- علي.. أنا محتاجالك.. علي.. علي.. انت يابني اصحى.

- إيه في إيه!!

- في إيه انت.. بقالي ربع ساعة بحاول أصحيك.

- ليه هي الساعة كام؟

- الساعة ٧ ونص.. الدنيا ليلت!

- ماشي يعني بتصحيني ليه برضه في إيه؟

- طلعت أدور عليك مكان ما كنت قاعد عالبحر ملقيتكش وجيت لقيتك نايم هنا.. أنا خارج رايح السينما اللي في مدخل القرية، هتلاقيني سايبلك أكل في التلاجة لو حبيت تاكل.. واصحى بقى مش هتقضي الكام يوم اللي قاعدينهم نوم.

- ماشي ماشي روح انت.

خرج خالد ليتنزه واستكمل علي نومه متجاهلا كلمات صديقه على أمل أن يجد مريم مازالت في انتظاره عندما يعود إلى الحلم.

الثلاثاء ١٢ يوليو ٢٠١٦

- بدأ علي يومه الثالث في الرحلة مبكرًا، فإنه وبطبيعة الحال قد استيقظ في الواحدة بعد منتصف الليل، عند استيقاظه تفاجأ بعدم وجود خالد في الشاليه.. فإن الفيلم الذي ذهب ليراه في السينما لن تطول مدته لستة ساعات، تذكر كلمات خالد عندما أيقظه قبل ساعات فتوجه إلى المطبخ فور انتهائه من غسيل وجهه ليلتقط الوجبة التي تركها له صديقه، عندما دقت الساعة الواحدة والنصف كان قد أنهى وجبته التي لم يقدر حتى على تمييز أطعمتها من الجوع، وجد الجو مناسبا بالخارج ليحضر ما جاء به من حشيش وزجاجات البيرة ويجلس في شرفة الشاليه، كان الجو شديد البرودة كما يفضل، القمر شبه مكتمل ولا صوت يعلو على صوت أمواج البحر، أخرج هاتفه وبدأ في تشغيل الموسيقى التي يفضل سماعها في هذا الوقت والتي تناسبت تماما مع الجو المحيط، وكأنه مشهد سينمائي صامت تختبئ آلة تصويره في أعين البطل.. تطلب الأمر سيجارتين من الحشيش وثلاث زجاجات من البيرة ليصل علي إلى درجة النشوة التي يفضلها ويستهدفها، درجة ما بين الوعي واللا وعي، يعي ما يدور من حوله ولكنه يشعر بنفس أخرى تحل محل نفسه، نفس لطالما تمنى أن تسكنه للأبد..

تذكر أمر التسجيل الذي قرر تأجيل سماعه في الصباح واتخذ القرار بأنه قد حان الوقت المناسب لسماعه لسبب ما لا يعلمه هو ذاته.

"النهاردة شوفت خالد قاعد مع مريم في كافيتريا الكلية بيهزروا ويضحكوا.. معرفش عرفها امتى بقى ولا ازاي وناوي معاها على إيه، خايف أسأله ويتكلم عنها على إنها واحدة من البنات الشمال بتوعه.. ساعتها أقسم بالله ما هخلي في وشه حتة سليمة، أنا لازم أعمل أي

حاجة.. لازم أدخل في الصورة قبل ما ياخدها مني، لازم أقوله وهما على البر قبل ما رجله تغرز معاها، لازم أفهمه إن دي البنت اللي بحبها ومش عايز حاجة من الدنيا غيرها بقالي سنين.. بس هو هيعملي إيه يعني لو قولتله، ما هي برضه اللي فضلته عني.. أنا غبي، كان لازم أفهم إن في يوم من الأيام لازم هيحصل كدا، ولو مش مع خالد كانت هتبقى مع حد غيره.. هي أكيد كانت حاسة إني معجب بيها بس مفيش حاجة تجبرها إنها تستنى واحد مريض زيي سنين لحد ما ياخد خطوة نحيتها، أنا بس اللي يمكن اتطمنت بزيادة لما لقيت إننا داخلين في سنة رابعة ولسه مشوفتهاش مع ولد، افتكرت إنها هتفضل لوحدها على طول فا مفيش خوف إن حد ياخدها مني.. غبي!"

بعد انتهاء التسجيل قام علي بإغلاق هاتفه وسرح للحظات تذكر فيها ما حدث منذ ذلك اليوم حتى تلك اللحظة بالتسلسل، لمعت عيناه استعدادا لتساقط بعض قطرات الدموع التي لم يستشعر وجودها على أطراف جفونه منذ زمن، مرت لحظات حتى فقد السيطرة على مشاعره وانفجر بالبكاء، جلس يبكي بحرارة في البرد الذي بات لا يشعر به بسبب تأثير الكحول في جسده حتى خلع قميصه ليجفف به وجهه ويمحو آثار البكاء من عيناه ثم ألقى به علي الأرض وأنار هاتفه ليقوم بتسجيل الفصل الأخير من تلك القصة.

"١٢ يوليو ٢٠١٦ اتخرجنا.. كل اللي كنت خايف منه حصل، مريم حبت خالد وكلها كام شهر ويتخطبوا.. مش هعرف أعمل حاجة ساعتها غير إني أباركله وأوصيه عليها.. لكن الحقيقة إني نفسي أقتله، كان هاين عليا أقطع علاقتي بيه بعد اللي حصل ومعرفش معملتش كدا ليه، لسه لحد النهاردة كل يوم بحلم بيها، عيني مش عارفة تشوف بنت غيرها، كانت آخر حاجة متعشم إني أطولها من الدنيا، كل ما أشوف

خلقته أحس إني عايز أشنق نفسي عشان سيبتها لواحد زيه، هي إيه اللي عجبها فيه؟ إيه بجد اللي عجبها في واحد فاشل وسطحي والنسوان بتصرف عليه زي دا؟ عموما أنا خلاص مش قاعدلهم في البلد، مش هستنى أنا لحد ما أشوفهم بيتجوزوا وأسمعه وهو جاي يحكيلي عن قد إيه هو سعيد في حياته ومتجوز واحدة مفيش منها اتنين.. دا مش بعيد يجيلي بعد ليلة الدخلة يحكيلي عمل فيها إيه في السرير عشان يتباهى قدامي برجولته الرخيص.. ما أنا أكتر واحد عارفه وعارف حقيقته الوسخة"

- مش قولتلك؟

سمع علي تلك الكلمات آتية من خلفه فانتفض ليجد خالد فبادره سائلا:

- قولتلي إيه.. وانت هنا من امتى؟

- أنا واقف هنا ورا الباب دا بقالي أكتر من ١٠ دقايق بسمعك وبشوفك على حقيقتك، عايز تعرف من امتى بظبط؟ من ساعة ما كنت عايز تقتلني.. ليه كدا بس يا علي؟ عملتلك إيه أنا عشان تكرهني كل الكره دا؟

رفع علي صوته قائلا:

- هو إيه اللي ليه كدا يا متخلف انت أكيد مش بتكلم عليك يعني!

- تاني.. هتكدب وتمثل تاني زي ما كدبت عليا امبارح ونيمتني وأنا لأول مرة من يوم ما عرفتك حاسس إني صاحبك بجد وإني غالي عندك؟!

- تمام.. وانت إيه بقى اللي مأكدلك إني كنت بتكلم عنك انت بذات؟

- قصدك إيه؟

- قصدي اللي علي راسه بطحة.

- لا من الناحية دي معاك حق.. أنا فعلا فيا كل العبر، بس ياريت تتفضل بقى وتعرفني بنفسك.. انت إيه بقى يا عم النضيف؟ على الأقل أنا مش بكرهك ولا شايلك حاجة جوايا.. ومكانش هيحصل حتى لو انت اللي خدتها مني.. شوفت بقى يا عم علي؟

- خلاص يا خالد أنا آسف، متكبرش الموضوع بقى أنا كنت شارب شوية زيادة بس.. وبعدين انت عارف إني مضغوط ومتدايق شوية اليومين دول عشان موضوع السفر وكدا فا حقك عليا متزعلش.

- مضغوط ومتدايق.. تمام، مقولتليش ليه؟

- مقولتلكش إيه؟

- مقولتليش ليه إنك بتحب مريم؟

- مش فارقة.. هي بتحبك انت، ربنا يوفقكوا.

- انت بجد كنت فاكر إني هستكترها عليك لو قولتلي؟ فاكر إني كنت هخسرك عشان بنت مهما كانت مين؟

- بقولك إيه انت شكلك عايز تتخانق وأنا بصراحة مش ناقص، أنا داخل أنام.

تركه علي ومضى إلى الداخل فارتفع صوت خالد قائلا:

- اقف هنا يلا كلمني زي ما بكلمك! ولا أقولك.. خش نام.. بس اعمل حسابك إنك هتصحى مش هتلاقيني.

- وماله يا حبيبي زي ما تحب.. مجاتش عليك.

- مجاتش عليا؟ ماشي يا أبو شام.. خليك هنا خمس دقايق لحد ما أخش آخد حاجتي من جوة وأمشي.

أنهى خالد كلماته وترك الأخير متجها إلى غرفة النوم ليجمع أمتعته ويرحل.

- استغفر الله العظيم.. يا خالد.. انت يابني استنى بس.

قال علي تلك الكلمات ثم ذهب وراء صديقه محاولا تهدئته:

- غور من وشي يا علي.. مش عايز أشوف خلقتك تاني!

- خلاص بقى يا عم أنا آسف.. وآدي راسك أبوسها.. خلاص بقى.. هتحاسب أخوك على كلمتين هبل قالهم وهو مش في وعيه؟

- بيتهيألك.. انت كنت في وعيك أكتر من أي وقت تاني، أنا اللي آسف.. مكنتش أعرف إنك بتحبها أوي كدا، كنت غبي لما مترجمتش من الأول كتر كلامك عنها وخوفك وقلقك عليها طول الوقت.. بس عارف إيه اللي واجعني أوي؟ إنك مش متضايق عشان هي حبت واحد غيرك، انت متضايق عشان هي حبت خالد مسلم، خالد اللي انت طول عمرك بتعتبره الكلب بتاعك، بتستكتر عليه أي حاجة حلوة ومبتحلاش في عنيك غير الحاجة اللي هو يعوزها.. أنا ماشي يا علي ومش هتشوف وشي

تاني، امسح رقمي من عندك وسواء سافرت أو لأ ياريت تنسى إن في يوم من الأيام كان ليك صاحب اسمه خالد.

****

الفصل الثاني

يا ليل طول

في تمام التاسعة صباحًا من اليوم الثالث كان قد أتم علي خمسين محاولة للاتصال بخالد بلا فائدة تذكر.. فقد أغلق خالد هاتفه منذ أن ترك علي في الشاليه، مشى قرابة الخمسة كيلومترات على قدميه حتى خرج من القرية ووجد سيارة تعيده إلى الإسكندرية في هذه الساعة المتأخرة من الليل، عندما يئس علي من محاولاته المستميتة للتواصل مع خالد عن طريق الهاتف جاءت في باله فكرة اللحاق بصديقه إلى الإسكندرية ولكنه سرعان ما طرد هذه الفكرة من رأسه عندما أدرك استحالة عودة صداقتهما كما كانت بعد الذي حدث، برغم حبه الشديد لخالد ولكنه كان يعلم جيدا أن كل ما قاله خالد ليلة البارحة كان حقيقة ولذلك تقبل الخسارة في سبيل ألا يستمر في نفاقه وقرر استكمال الثلاثة أيام المتبقية في الرحلة وحيدا ليعيد حساباته ويدفن كل قطرة متبقية من بحر الذكريات الأسود الذي يسكن بداخله في هذا الشاليه قبل أن يرحل، لم تكن فكرة قضاء بضعة أيام وحيدًا في الساحل الشمالي وفي هذا الوقت من العام فكرة غريبة بالنسبة لعلي، فإن هذه كانت خطته من الأساس قبل أن يعرقلها مجيء خالد.. ساعات من الندم ولوم النفس مرت على علي كسيارة محملة بأطنان من الصخر تمر من فوقه لتهشم عظامه بالتصوير البطيء، حاول الخروج من تلك الحالة بالنوم لكن لا فائدة.. استغرق الأمر ثلاث ساعات حتى استطاع أن ينام واستيقظ بعد ساعتين فقط، قرر ممارسة يومه بشكل طبيعي متجاهلا ما حدث واتصل بمركز

الخدمات حتى يرسل له أحد العمال ليلبي طلباته من طعام ومياه شرب وبضعة علب سجائر، مضت عشر دقائق حتى طرق الباب الخلفي للشاليه ليرى وراءه شاب أسمر ذو ملامح نوبية، متوسط القامة يرتدي ملابس بسيطة، يضع يده علي جبينه ليحمي وجهه من أشعة الشمس ويبدو عليه الإجهاد:

- سلام عليكم.

- وعليكم السلام، انت من مركز الخدمات؟

- أيوة يا باشا اؤمرني.

- اسم الكريم إيه الأول؟

- عبادة يا باشا.. محسوبك عبادة.

- ماشي يا عبادة بص عايزك تجيبلي الطلبات اللي في الورقة دي ومعاها خرطوشة سجاير وكام لتر مياه معدنية كدا.

- ماشي يا باشا.. تؤمرني بحاجة تاني؟

- لا لا تسلم.

ثم عاد لينناديه بعد أن تذكر شيئا آخرا:

- أو بص يا عبادة استنى..

- أيوة يا باشا.

- بقولك إيه انت شاكلك عيل جدع.. متعرفش حد عنده بيرة هنا؟

- اه يا باشا فيه واحد قرب بوابة القرية على الطريق.

- طب إيه تعرف تدخلنا كام إزازة في إيدك كدا؟ وأنا عنيا ليك متقلقش.

- اه يا باشا سهلة.. اللي واقفين على الباب كلهم حبايبي، تحب أجيبلك كام إزازة؟

- لو أربع خمس أزايز كدا تبقى فل.

- تمام يا باشا هروح أنا أجيب الطلبات وأجيلك على طول.. تؤمرني بحاجة تاني؟

- تسلم.

عندما عاد عبادة بالطلبات بعد قرابة النصف ساعة طلب منه علي أن يمر عليه من الحين إلى الآخر على مدار اليومين المتبقيين له في الرحلة ليحضر له متطلباته من ممنوعات في السر مقابل إكرامية لا تتخطى بضعة ورقات من فئة الخمسة، وضع كل محتويات الأكياس في الثلاجة باستثناء "خرطوشة" السجائر وإحدى زجاجات المياه وقرينتها من زجاجات البيرة، ثلاث ساعات أخرى مرت على علي وهو ممدد جسده على أريكة بمنتصف غرفة المعيشة ولا يفعل شيئا سوى التدخين واحتساء البيرة مع مشاهدة أحد أكثر الأفلام التي تذكره بطفولته والذي وجده يعرض علي التلفاز بالصدفة.. فيلم "غزل البنات"، بعد انتهاء الفيلم ومع دقة الساعة السادسة مساء قرر التوجه إلى غرفة النوم وإخراج كمانه من صندوقه الخشبي في محاولة أخرى باهتة للخروج من دوامة تفكيره فيما حدث ولو بشكل مؤقت، استغرق دقائق من التفكير في مقطوعة يعزفها حتى خطرت في باله أغنية المطربة "ليلى

مراد" التي كانت تعرض في الفيلم؛ أغنية "ماليش أمل"، لم تكن هذه المرة الأولى له أن يعزف تلك المقطوعة.. فإنه يتقنها جيدا منذ طفولته حيث كانت هذه المقطوعة من اوائل المقطوعات التي تعلمها ودرسها في معهد الموسيقى عندما كان طفلا، وكانت تلك الأغنية هي السبب الأهم في تشكيل فيلم غزل البنات لجزء كبير من طفولته، عندما انتهى من العزف انفرجت شفتاه ولمعت عيناه لمعة حنين لأحب أيام حياته الي قلبه، فقد تذكر عندما اصطحبه جده إلى المعهد العالي للموسيقى لأول مرة وهو في السابعة من عمره، تذكر انبهاره بهذه البناية القديمة التي تعلو أصوات الموسيقى من كل أركانها ويسكن أنحاءها جهابزة الموسيقى وروائح آلاتهم العتيقة التي ربما تكبره عمرا، لم يكن لديه الاختيار في انتقاء الآلة التي يود أن يعزفها لإصرار قاسم الشامي أن يكمل حفيده ما بدأه في مشواره مع آلة الكمان، ولكنه قد أدرك مع مرور السنوات أنها الآلة الوحيدة التي تتناسب مع شخصيته بشكل تام، أو ربما هي التي شكلت شخصيته لذلك اصبح من الطبيعي أن يراها بتلك النظرة الآن.. يقول كبار الموسيقيون أن من المستحب تعلم آلة الكمان في سن صغيرة حتي تتشكل عضلات الجزء العلوي من الجسد على وقفتها.. فهل ربما شكلت آلة الكمان في علي الشامي شيئا أعمق من ذلك؟

- الو.

- أيوة يا مريم.

- أيوة يا علي، ازيك عامل إيه؟

- تمام الحمد لله.. بصي يا مريم أنا بصراحة عايز منك طلب وحاولي متستفسريش عنه كتير، ممكن؟

- مش فاهمة.

- بصي أنا عارف إن مكالمتي ليكي بشكل عام دلوقتي حاجة غريبة بس والله لولا إني مش عارف أوصل لخالد مكنتش عملت كدا.

- لأ مش غريبة ولا حاجة يا علي احنا صحاب.. وبعدين أنا مش فاهمة برضه، هو خالد مش عندك؟

- لأ.. خالد لم كل حاجته ورجع إسكندرية الفجر.

- غريبة يعني مكلمنيش.. طب هو مشي ليه برضه انتو اتخانقتوا؟ مامته حصلها حاجة؟

- اطمني والدته بخير الحمد لله.. أنا بس عايزك تبلغيه إنه غالي عندي وإني والله العظيم ما كنت واعي لأي كلمة خرجت من لساني امبارح، قوليله ميزعلش مني وإني مش شايله أي حاجة جوايا.

- اه يبقى اتخانقتوا.. فهمني طيب يا علي إيه اللي حصل؟

- مريم ممكن تقوليله الكلمتين دول وبس؟

- ماشي بس هو قافل موبايله من امبارح وأنا كمان مش عارفة أوصله، كنت فاكراه نايم متأخر وقافل الموبايل أو موبايله فاصل شحن.. انت متأكد إنه كويس طيب؟

- اه متقلقيش عليه.. المهم لما توصليله قوليله الكلمتين دول وخلاص.

- طيب ماشي.

- يلا سلام.

- باي.

****

مع حلول منتصف الليل كان قد استنفذ علي كل قواه في محاولات الخروج من تلك الحالة ولكن بلا فائدة.. لم يجد للخروج منها حلا سوى الغياب عن الوعي بشكل متعمد خوفا من أن يفقد السيارة علي نفسه ويعود لمحاولات الانتحار مرة أخرى، أخرج ما تبقى من حشيش من حقيبته بالإضافة إلى كل زجاجات البيرة المتبقية في الثلاجة وتوجه إلى ذات المقعد اللعين.. المقعد الذي شهد ليلة البارحة نهاية علاقته بأعز أصدقائه.. ربما أراد أن تسيطر عليه الحالة ذاتها التي سيطرت عليه ليلة البارحة من كره وحقد لخالد حتى يتوقف عن الشعور بالندم ولو بشكل مؤقت.. علي الأقل حتى تستطيع مريم الوصول إلى خالد، لم تأخذ الموسيقى محلا في المشهد تلك المرة ولم يكن يستهدف أي درجة من درجات النشوة، كان هدفه الوحيد يقتصر فقط على فقدان الوعي لما يحدث من حوله بقدر الإمكان.

مليش أمل في الدنيا دي

غير إني أشوفك متهني

حتى إن لقيت إن بعدك راح يسعدك ابعد عني.

أما أنا مهما جرى

حفضل أصون عهد الهوى

وإن غبت يوم ولا سنة حفضل أنا برضه أنا

في تمام الواحدة والنصف بعد منتصف الليل التقطت آذان علي صوت الأغنية التي كانت تعزفها أصابعه منذ ساعات، لم يشعر بنفسه عندما ترك مقعده وذهب ليبحث عن مصدر الصوت، ذهب ليلقي نظرة على الشاليهات المجاورة ولكنه لاحظ أن الصوت يبتعد فعاد مرة أخرى إلى مكانه ليدرك بعد لحظات أن الصوت آت من شاطيء البحر.. بدأ يمضي في اتجاه الشاطئ مترددا؛ فإنه لم ير أيا من جنس البشر متوجها إلى الشاطئ منذ مجيئه.. أمتار قليلة قطعتها أقدامه وكأنها أميال، كلما اقترب كلما رنت في آذانه كلمات ليلى مراد التي كانت للمرة الأولى تبدو مخيفة وحادة على مسامعه، مع نهاية الأغنية وصل للسور الذي يفصل ما بين حديقة الشاليه وشاطئ البحر ليرى آخر شيء يمكن أن يتوقعه، لم يكن هناك بعبعا ولا شيطانا بقرون حادة في انتظاره.. بل كانت ليلى، ظلا لامرأة يوحي جسدها بأنها في الثلاثينيات، شعرها طويل.. يكاد يصل إلى خصرها، تعطيه ظهرها وتنظر إلى البحر بتمعن وتركيز شديد وكأنها تحاوره في إحدى القضايا السياسية، حافية القدمين ترتدي معطفا طويلا وشالا يغطي رقبتها وتمسك في يدها شيئا أشبه بجهاز راديو صغير.. بعد لحظات من التحديق وجد علي نفسه يتوجه إليها وهو لا يزال فاقدا السيطرة على تصرفاته.

- انتي مين؟

أدارت نظرها له ليرى علي أجمل وجه يمكن لأي انسان أن يراه، بشرة بيضاء لدرجة أظهرت ملامحها بالتفصيل في ظلمة الليل.. وكأن القمر

قد وكلها لتحل محله في إنارة المشهد، عيون زرقاء وصافية كمياه بحر لم يعكر صفوها البشر منذ عقود، شعر أسدل الستار عن لونه الأصفر وبعض بقع النمش التي سقطت من فرشة الخلاق عندما كان يرسمها، كانت جميلة لدرجة جعلته يشك للحظة أنها النداهة التي يحكى عنها في الصعيد.. ولكن ما الذي يأتي بالنداهة إلى الساحل الشمالي؟

- اقلع الجزمة اللي في رجلك.

- نعم؟

- زي ما سمعت.. اقلع الجزمة اللي في رجلك.

- حاضر .

خلع علي حذائه ثم سأل:

- بس ليه؟

- آداب البحر.. مسمعتش عن آداب البحر قبل كدا؟

- لا مسمعتش.

- البحر ورملته شيء مقدس، زي المسجد كدا.. ينفع تخش المسجد وانت لابس جزمة؟

- إيه؟.. اه.. لأ طبعا

عادت بنظرها إلى البحر مرة أخرى وهي تقول:

- ليلى.

صمت علي للحظات تعجب فيها من تشابه الأسماء بينها وبين بطلة الرواية التي كان يقرأها عند مجيئه ثم مد يده بالسلام معرفا بنفسه:

- علي

- عارفة.

- عارفة منين؟

- أصلي سمعت خناقتك انت وصاحبك امبارح.

- ياه.. هو احنا كنا مفضوحين للدرجادي؟

- لا مش مفضوحين ولا حاجة.. أنا بس اللي كنت قريبة فا سمعت.

- ممم.. هو انتي هنا من امتى؟ أصل أنا بصراحة من ساعة ما جيت ماشوفتش حد في القرية كلها غير بتوع الأمن.

- أنا هنا من قبل ما انت وصاحبك تيجوا بيومين.

- شكلك كنتي مركزة معانا أوي.

- بصراحة اه.. القرية فاضية أوي اليومين دول وكنت محتاجة جيران أتونس بيهم.

- انتي بقي اللي كنتي حاطة الكرسي والشمسية دول هنا؟

ابتسمت ليلى وهزت رأسها بالإيجاب فضحك علي قائلا:

- تصدقي أنا قعدت شوية حلوين أفكر يا ترى مين الرايق اللي بييجي بليل متأخر كدا يقعد هنا.. لدرجة إني فكرت مرة أستناه وأعمله كمين.

- أديك عرفت أهو يا سيدي مش محتاج تعمل كمين ولا حاجة.. أنا باجي هنا كل يوم الساعة واحدة بعد نص الليل وبمشي مع مطلع الفجر.

- ممكن أسألك سؤال؟ معلش أنا عارف إن أسئلتي كترت.

- اسأل.

- انتي بتيجي هنا تعملي إيه؟

- شايف البحر دا؟

- اه

- البحر دا أغلى عندي من أي حاجة.. من وأنا صغيرة وهو بيسمعني ويحتوي مشاكلي أكتر من أي حد، أكتر من أهلي وأقرب الناس ليا، لما كل الدنيا بعدت عني فتحلي دراعاته وقالي تعالي احكيلي مالك، تفتكر ينفع بعد كل دا مودوش وأسأل عليه من الوقت للتاني؟

- انتي غريبة أوي.

- لا مش غريبة ولا حاجة.. انت بس اللي لسه صغير علي الكلام دا، أنا بقى اللي عايزة أسألك سؤال يا شاطر ممكن؟

امتعض وجه علي من أسلوبها في الحديث ثم أجاب:

- اه طبعا.. اتفضلي.

- سيبته يمشي ليه؟

- هو مين دا؟

- صاحبك.

- دي حكاية طويلة أوي.. قولتيلي بتقعدي هنا للفجر؟

ابتسمت ليلي ثم هزت رأسها بالإيجاب، دعاها علي للجلوس على الرمال بدلا من الوقوف وقبلت دعوته، مد يده لها ليساعدها في الجلوس ثم مكث بجانبها وقام بإشعال سيجارة وبدأ في السرد.

- أنا وخالد نعرف بعض من ٥ سنين، من أيام ثانوية عامة.. كنا بناخد دروس مع بعض ومعانا شلة بنات كبيرة، عارفة أغنية كل البنات بتحبك كل البنات حلوين؟ أهو خالد كان كدا.. كان أكتر نوع من الشباب ممكن أكره إنه يكون صاحبي أو إني حتى أعرفه معرفة سطحية، النوع الملزق دا اللي أربعة وعشرين ساعة تلاقيه واقف بيضحك ويتمايص مع البنات المراهقين ودباديب بقى وكدا، وبرغم كل دا كنت بتعامل معاه عادي لكن في أضيق الحدود.. لحد ما في يوم جالي وحاول يتكلم معايا ويفهم أنا عازل نفسي عنهم وبتجنبهم ليه، حاولت أشرحله بأكتر طريقة محترمة قدرت عليها إني مليش في الجو دا.. ساعتها سكت كدا ومشي زي ما أكون أحرجته أو ضايقته، من الحصة اللي بعدها على طول بدأ التعامل بيننا يزيد وبقى يطلب مني أصورله ورق مع إنه لو شاور بصباعه بس هيلاقي ألف واحدة تصورهوله.. ومرة تانية يقترح عليا إننا نروح نقعد على القهوة سوا ويفضل يحكيلي عن المعاناة اللي في حياته والمسئوليات اللي متشالة على كتافه.. زي ما يكون عايز يوصلي رسالة إنه مش كدا، عايز يغيرلي الفكرة اللي أنا واخدها عنه.. ومرة في مرة بقينا صحاب وبدأت بالفعل أغير جزء كبير من فكرتي عنه لما عرفت إنه فعلا حياته مش سهلة وإنه مش بالتفاهة والسطحية اللي كنت متخيلها، مكانش الصاحب اللي مفيش منه اتنين لكن كان فيه ميزة واحدة

معتقدش إني كنت هلاقيها في أي حد تاني.. إنه قبلني زي ما أنا في أكتر وقت كنت مرفوض فيه.. واللي اكتشفته مع الوقت إنها كانت ميزة متبادلة، عدت فترة ودخلنا نفس الكلية سوا وفي أول سنة لينا في الكلية شوفت مريم، بحكم إني مكانش ليا خبرات في التعامل مع الناس بشكل عام والبنات بشكل خاص فا مكنتش عارف أعمل إيه عشان ألفت نظرها، كنت أقدر وقتها أطلب منه المساعدة لكن خوفت يعجبها هو وتشوفني جبان وكل حاجة تبوظ، فضلت على الحال دا ٣ سنين.. كل ما آخد خطوة نحيتها أرجع ١٠ خطوات لورا.. لحد ما في سنة رابعة حصل اللي كنت خايف منه، فجأة لقيتهم مع بعض في الكلية وفي نفس اليوم بليل جالي يحكيلي عنها وقاللي قد إيه هي مختلفة وتصلح أن يكون في بينه وبينها حاجة بجد، اللي اكتشفته امبارح إني من ساعتها بدأت من جوايا أكرهه وأحقد عليه من غير ما احس، أنا عارف إنه ملوش ذنب وإنه بيحبها بجد.. أكيد مش ذنبه إنه أشجع مني وقدر ياخد خطوة ناحيتها في وقت أقصر، وبعد اللي حصل امبارح والكلام اللي قاله بقيت متأكد إنه لو كان يعرف اللي جوايا من ناحيتها مكانش فكر ييجي جنبها.. وده اللي تاعبني.

- محاولتش توصله؟

- أكيد حاولت.. من امبارح بكلمه وموبايله مقفول.. لدرجة إني كلمت مريم نفسها عشان توصله اعتذاري من غير ما أفهمها أي حاجة.

- طب مفكرتش ترجع إسكندرية تشوفه؟

- ملهاش لازمة، كدا كدا مش هينفع نكون اصحاب تاني.. ولا هو هيقبل يكون مع واحد حاسس طول الوقت إنه عينه على حبيبته اللي قريب

ممكن تبقى مراته ولا أنا هقبل إني أنافقه تاني وأمثل الروح الرياضية بعد ما عرفت حقيقتي.. أنا بس كنت عايز أخلص ذمتي من الموضوع وأعتذرله وبعدها كل واحد فينا يشوف دنيته.

نظرت ليلى في ساعتها لتجدها الثالثة بعد منتصف الليل فقالت:

- أنا لازم أمشي.

- زهقتي مني؟

- لأ بالعكس.. هو بس الفجر قرب، وانت عارف بقى.

قامت ليلى من مكانها استعدادا للرحيل:

- طب استني بس.. أنا لسه معرفش عنك حاجة.

- زي ما قولتلك.. هتلاقيني هنا كل يوم الساعة واحدة.

قالت تلك العبارة مع ابتسامة اخيرة وهي تنظر في عينيه ثم رحلت وعاد الأخير إلى الشاليه متجاهلا التفكير في ما حدث حتي لا يتلف إحساسه غير المبرر بالسعادة الغامرة التي لم يتذوق طعمها منذ زمن.

الأربعاء ١٣ يوليو ٢٠١٦

استيقظ علي في تمام الثانية عشر ظهرا من يومه الرابع وهو يشعر بالخمول والإجهاد الشديد، على غير عادته نام لقرابة التسع ساعات دون أن يشعر بعد ليلة كانت بمثابة حلم لم ير في جماله من قبل، أخرج هاتفه ليسجل ما حدث ليلة البارحة في فصل جديد من مذكراته.

"١٣ يوليو ٢٠١٦ امبارح كنت قاعد بشرب على البحر بليل وقابلت واحدة حلوة أوي.. حلوة بشكل غريب، وهي غريبة شوية بصراحة.. خلتني من غير ما أحس أحكيلها عن خالد وتاريخ معرفتي بيه من يوم ما عرفنا بعض، وحكيتلها كمان عن مريم وقعدنا نتكلم لحد الفجر، اسمها ليلى وبتقول إنها بتبقى موجودة على البحر كل يوم في نفس الميعاد دا وبتمشي مع مطلع الفجر.. مش عارف إيه الجو الغريب دا بس حاسس إني عايز أشوفها تاني وأحكيلها أكتر عن نفسي وعن حياتي.. أول مرة أحس الإحساس دا من ناحية أي حد، مظنش حتى إن سر انجذابي ليها هو شكلها بس.. فيها حاجات كتير مفتكرش إني شوفتها في أي بني آدمة قبل كدا، لدرجة إنها خلتني أنسى أسألها الأسئلة البديهية بين أي اتنين بيتعرفوا على بعض في موقف زي دا.. هروح أستناها تاني النهاردة في نفس الميعاد والمكان، ويارب تصدق وتيجي بقى"

بعدما انتهى من التسجيل أدرك حاجته لجرعة مكثفة من الكافيين حتى لا يعاود النوم مرة أخرى فتوجه إلى المطبخ لتحضير فنجان من القهوة، سرحت عيناه للحظات في منظر القهوة وهي تغلي وتذكر واحدة من آخر المحادثات التي دارت بين والده وجده عندما كان صغيرا بينما كان يختبئ خلف الحائط.

فلاش باك

- شوف يابني انت سايبلي الولا من ساعة ما أمه ماتت وعلى طول في شغلك ولا بتسأل فيه ولا بتصرف عليه مليم وقولت ماشي أهو حفيدي وفي يوم من الأيام هيكبر ويبقى سندي في الدنيا.. بس متجيش بقى دلوقتي بعد ما أنا اللي ربيته وبقى من صلبي تقولي أنا مسافر وعايزه معايا.. عايز تسافر تعمل فلوس وماله يا حبيب أبوك سافر بس علي هيفضل معايا.. وفي الآخر انت أبوه وليك الحق تشوفه وقت ما انت عايز لكن هنا في مصر مش في حتة تانية.

- يا حج اسمعني بس.. أنا ما أنكرتش والله أي حاجة من اللي انت عملتها للواد، بس في الآخر علي ابني ومش هقدر أستغنى عنه، سيبه بس يسافر معايا وأنا وعد مني هجيبه يزورك بنفسي كل أجازة.

- علي مش هيتتعتع من جنبي يا محمود لو عملت إيه.. جرا إيه يابني.. انت فاكر الواد لعبة هتاخده وقت ما تحب وتسيبه وقت ما تحب؟

- يا حج.. يا حج انت منفسكش الواد يتعلم تعليم نضيف ويتربى وسط ناس متحضرة ويرجعلك بعد كام سنة كدا وهو معاه شهادة محترمة وتتشرف بيه قدام الناس؟

- شهادة محترمة.. قولي يا محمود هو ابنك في سنة كام؟

- لا يا حج مش فاهم السؤال بصراحة.

- رد عليا بس من غير مناهدة.. تعرف ابنك في سنة كام؟

- لا يا حج معرفش.

- طب بلاش في سنة كام.. تعرف ابنك عنده كام سنة؟ أراهنك إنك برضه متعرفش.. شوف يا محمود يابني، ابنك هنا بيتعلم أحسن تعليم وبياكل أحسن أكل وبيشرب أحسن شرب وغصب عن أي حد هيكبر ويبقى أحسن واحد في الدنيا وهيبقى بار بأبوه وابنه اللي هيخلفه إن شاء الله، انت بس سيبنا في حالنا واتكل علي الله شوف حالك.

- ماشي يا حج اللي تشوفه.. بس ليا عندك طلب.

- اتفضل.

- مصاريفه أنا اللي هبعتهالك أول كل شهر.. بعد إذنك يا حج دا برضه ابني وليا فيه وإن شاء الله ربنا هيفتحها عليا هناك والحال هيتعدل.

- ماشي ياخويا متتحمقش أوي كدا.. ولو الحال متعدلش أنا أشيله في عينيا، متحملش هم انت بس واتوكل علي الله.

- ماشي يا حج.. خلي بالك عليه.

استفاق علي من غفلته على منظر فوران القهوة فحاول إنقاذ الموقف سريعا بأن يبعد "الكنكة" عن النار ويسكب المتبقي من القهوة في الفنجان ولكن كلفه هذا حرق في يده اليمني من سخونة مقبض الكنكة، عندما انتهى من وضع بضع مكعبات الثلج علي مكان الحرق طرق الباب الخلفي للشاليه، ذهب ليفتح الباب وسرعان ما تفاجأ بعبادة في هيئة مغايرة تماما للهيئة التي ظهر بها البارحة، كان وعلى غير المتوقع

يبدو أنيقا ببساطة حيث كان يرتدي قميصا يبدو وكأنه قد قضى ليلة كاملة في كيه وسروالا من خامة "الجينز" وحذاء أسودا قد تم تلميعه بحرفية، شعره مهذب وتفوح منه رائحة عطر تملأ المكان.

- صباح الفل يا باشا.

- صباح النور يا عبادة.. كويس إنك منستنيش.

- وأنا أقدر يا باشا؟

- طب تعالى بس معلش استناني جوة لحد ما أكتبلك الطلبات اللي عايزها في ورقة.

- ميجراش حاجة يعني يا باشا خد راحتك وأنا مستني هنا.

- يا عم خش بس بلاش هبل.

- ماشي يا باشا.. يا ساتر.

- لا مفيش حد غيري هنا متقلقش.

- مال إيدك يا باشا ألف سلامة.

- لا مفيش دا حرق صغير كدا.

- ألف سلامة يا باشا.

- الله يسلمك.. أنا عملتلي قهوة، أعملك حاجة تشربها معايا؟

- العفو يا باشا يعني العين متعلاش عن الحاجب.

- عين إيه بس يابني وحاجب إيه.. قول عايز تشرب إيه؟

- ولا حاجة يا باشا تسلم.

- ماشي يا سيدي.. أومال إيه بس الشياكة دي صحيح.

- ربنا يكرمك يا باشا كلك ذوق.. أنا أصلي نازل أجازة خطف كدا لأهلي في البلد وراجع على بعد بكرة على طول إن شاء الله فا قولت أعدي أشوف طلبات سيادتك لالنهاردة وبكرة قبل ما أمشي.

- انت شغال هنا أصلا ولا جيشك اللي جابك هنا؟

- لا يا باشا أنا شغال هنا من زمن.. من وأنا عيل صغير، عارف يا باشا؟ الشاليه دا زمان كان بيتأجر مخصوص لقبطان كبير أوي، كان راجل سكرة كدا ميتخيرش عن سعادتك.. أنا حضرته وهو كبير لكن أبويا الحج بقى كان شغال هنا من قبلي وحضره أيام شبابه، كان دايما يقولي الراجل دا على قد ما هو مقتدر ومعاه فلوس يأجر بدل الفيلا عشرة لكن مكانش يحلاله أبدا السكن غير في الشاليه دا.. أنا حتى مش ناسي اسمه.. كان اسمه قاسم بيه الشامي، الله يرحمه بقى سمعت إنه اتوفى من كام سنة.. سعادتك أول زبون تسكن هنا من بعده.

- الله يرحمه.. وانت إيه اللي فكرك بالحكاية دي دلوقتي؟

- أصلي لمحت برة عربية تشبه عربيته بظبط وأنا داخل لسعادتك.

- ماشي يا عم عبادة.. دي ورقة فيها كل الطلبات اللي محتاجها ومعلش لو مفيهاش تعب هاتلي معاهم كام إزازة بيرة.

- لا يا باشا تعبك راحة.. بس لا مؤاخذة يعني يا باشا أنا متشرفتش باسم سعادتك.

- اسمي علي يا سيدي.. علي الشامي.

مع دقة السابعة مساء كانت قد وصلت مريم بسيارتها الفخمة إلى منزل خالد البسيط، لم تقو على تحمل مشاعر القلق والخوف أكثر من ذلك حيث استمر خالد في غلقه لهاتفه لليوم الثاني على التوالي، لم تهبأ كثيرا للحي الشعبي الذي ينتمي له ولا للبناية المتهالكة التي يسكن فيها ولكن كان السبب الحقيقي وراء ترددها لأخذ تلك الخطوة وزيارته في منزله منذ البارحة هي المضايقات التي قد تتعرض لها في هذا الحي، طال انتظارها لبضعة دقائق عندما طرقت جرس الباب للمرة الأولى فعاودت المحاولة لعدة مرات أخرى حتى فتح لها الباب وهو لا يبدو في أفضل أحواله.

- انت فين يا خالد؟ بقالك يومين قافل موبايلك ومبتردش على الرسايل اللي ببعتهالك.. كان لازم يعني أجيلك البيت عشان أعرف أوصلك؟

- مفيش كنت مخنوق شوية.. خشي.

- لا مش هينفع.. غير هدومك وأنا هستناك تحت.

- يا بنتي خشي متخافيش أمي جوة.

اطمأنت مريم أنه ليس وحده بالمنزل فدخلت:

- ماشي أديني دخلت.. مالك بقى فيك إيه؟

- قولتلك مفيش يا مريم.. انتي عرفتي منين إني في إسكندرية؟

- ماهو علي كلمني لما معرفش يوصلك وقالي إنك سيبته ورجعت.

- بتقولي علي كلمك؟!

- أيوة كلمني عادي يعني.. وطلب مني كمان لما أوصلك أقولك إنك غالي عنده وإنه مقصدش حاجة من اللي قالهالك، هو إيه اللي حصل؟

- وهو مقالكيش اللي حصل؟

- لأ مقاليش حاجة.. هو اتصل بيا وكان صوته متضايق كدا ولقيته بيسألني عليك وطلب مني لما أوصلك أقولك الكلمتين دول وبس.

- طب كويس.. أهو البيه طلع بجح كمان.. عاملي فيها الصاحب الوفي وبيتصل بيكي انتي بذات عشان توصليلي الكلمتين الخايبين دول.

- فيه إيه يا خالد أنا مش فاهمة حاجة!

- ما تبطلي استهبال بقى انتي كمان.

- استهبال؟ خالد أنا مش بستهبل أوكيه، ممكن تبطل انت بقى الطريقة دي وتفهمني في إيه؟

- طريقة إيه! انتي بجد مش عارفة إن علي بيحبك؟

- علي بيحبني؟ إيه الكلام الأهبل دا!

- دا مش كلام أهبل يا مريم.. البيه بيحلم بيكي كل يوم ومستكترك عليا.. قوليلي إنك مكنتيش تعرفي، اكدبي عليا وقوليلي إنك مكنتيش تعرفي وأنا هصدقك.

بدأ خالد في البكاء فقام بإبعاد وجهه عن مريم حتى لا تلحظ دموعه ولكنها لاحظتها وقامت بوضع يدها على كتفه قائلة:

- خالد أنا والله العظيم مكنتش أعرف.. ممكن متعيطش بليز عشان خاطري متعيطش.. الموضوع مش مستاهل كل دا، وعلى فكرة كمان علي مرضيش يقولي أي حاجة من دي لما كلمني ولا عمره لمحلي بأي حاجة عشان ميخسركش.. كل اللي حصل إنه لما معرفش يوصلك ملقاش حل غير إنه يكلمني ويطلب مني إني أوصلك الكلمتين دول بس، أنا متأكدة إنك غالي عنده زي ما هو غالي عندك بالظبط.

- امشي دلوقتي يا مريم ونتكلم بعدين.

- مش همشي يا خالد طول ما أنا شايفاك كدا.

- يا مريم امشي بقولك!

- ماشي يا خالد انت حر خليك كدا، أنا ماشية.. سلام.

ذهبت مريم بعد أن أغلقت باب المنزل بعنف لم تعتد عليه وتركت خالد وحيدا مع قبيلة مكتملة العدد من الأوهام والخيالات التي تتملكه وتسيطر على عقله شيئا فشيء.

مع حلول منتصف الليل كان قد اقترب الموعد المنتظر لعلي مع ليلى، لم يتوقف عن التفكير بها منذ أن رحل عبادة، لا يعلم السر الحقيقي وراء انجذابه لها ويدرك جيدا مدى غرابة الموقف وأنها شخصية لن تدوم في حياته طويلا ولكن في الحقيقة هذا لا يزعجه، كان فقط لديه بعض

الأسئلة التي يود أن يعرف إجاباتها، مضت ساعات من التفكير في كيفية استغلال الساعتين الذين سوف يقضيهما معها في أن يعلم عنها المزيد قبل أن تنظر تلك النظرة السخيفة إلى ساعتها وترحل مرة أخرى.. كانت تبدو ليلة البارحة كنهاية مبهمة من النهايات التي لا يحبذها في الروايات، وكان يبدو موعده معها الليلة كموعد له مع أحد كتاب النهايات المبهمة ليعرف منه الحقيقة.. احتاجت ليلى لساعة ونصف فقط حتى تجعله ينتظر موعدها في اليوم التالي على نار، حيث إنه ذهب ليلقي بنظره على شاطئ البحر قبل الميعاد المحدد بنصف ساعة على أمل أن يجدها ولكن دون فائدة، مضى النصف ساعة التي تسبق الموعد وهو لا يفعل شيئا سوى النظر في ساعته مراقبا حركة العقارب.. كم هو غريب الأمر أن تتمنى مرور الوقت بسرعة لتقابل امرأة لا تعلم عنها سوى اسمها في مكان من الممكن ألا تستمر فيه ليومين إضافيين في مدينة تستعد لتركها إلى الأبد عن قريب، عندما دقت الواحدة بعد منتصف الليل وحان الوقت أخيرا بدأ يتوجه إلى شاطئ البحر ولكن هذه المرة بخطى ثابتة وربما سريعة بعض الشيء، عندما وصل للسور وجدها جالسة على الرمال وتنظر للبحر بنفس الشغف والحب التي كانت تنظر بهم ليلة البارحة، كانت ترتدي فستانا صيفيا يظهر جسدها الذي لا يقل جمالا عن ملامحها، خلع حذاءه واقترب منها قليلا ليتفاجأ بها تنطق أولى كلماتها دون أن تلتفت إليه:

-في معادك بالظبط.

-عرفتي منين إني جيت!

- العصفورة قالتلي.

- العصفورة قالتلك اه.. شكلك ناوية تبدأي الليلة صح.

نظرت في عيناه للحظة ثم استكملت حديثها قائلة:

- وقالتلي كمان إنك جاي وجواك أسئلة كتير ملحقتش تسألها امبارح.

- العصفورة؟

- لأ، عينيك.

- طيب كويس وفرتي عليا نص السكة.. بصي هو بصراحة مفيش أسئلة بعينها بس أنا حاسس إني محتاج أعرف شوية حاجات عنك عشان أطمن نفسي إني لسه طبيعي ومتجننتش ولا بيجيلي تهيؤات مش أكتر.

- أنا يا سيدي من إسكندرية.. عندي ٣٤ سنة، كنت بشتغل مذيعة راديو لكن سيبت الشغل عشان أهلي صعايدة مقتنعوش بالموضوع وقتها وتقريبا اتبروا مني بسببه، مش متجوزة ومتجوزتش قبل كدا.. يعني تقدر تقول بالبلدي كدا عانس، بقضي شهور الصيف هنا وباقي السنة عندي حضانة أطفال بديرها، يتهيألي دي كل حاجة كنت محتاج تعرفها.

- ياه.. جميل أوي اللي انتي بتعمليه دا.

- اللي هو إيه بالظبط؟

- إنك فاتحة حضانة أطفال.. يعني يتهيألي أنا لو كنت بصطبح بوش زي وشك دا كل يوم وأنا صغير كانت الحياة هتختلف.

- انت مدرك إن اللي بتعاكسها دي واحدة ست قد أمك صح؟

- لا مش للدرجادي، أنا عندي ٢٢ سنة.

- طيب يا أبو ٢٢ سنة، قولي بقى.. مال إيدك؟

- لا مفيش اتلسعت بس الصبح وأنا بعمل قهوة.

- ماشي يا عم قهوة وبتاع.. بس أنا مش قصدي على دي.

- أومال قصدك علي إيه؟

نظرت ليلى إلى آثار محاولات الانتحار التي علي معصمه فأجاب علي:

- اه.. فهمت.

- طب إيه ناوي تحكي ولا مش حابب؟

سرح علي في عينيها للحظات مقررا فيهم أن يكشف لها عن أهم ما يسكن بداخل صندوقه الأسود.

- أنا قتلت جدي.

ابتسمت ليلى ابتسامة تحمل إشباعا كبيرا لغرورها، فقد شعرت من اللحظة الأولى أن هذا الشاب الذي يمكث بجانبها وراءه قصة مثيرة للاهتمام.

- احكيلي من الأول خالص.

- أمي ماتت وأنا عندي سنتين.. أبويا خدني يربيني بس كان بيسيبني أغلب الوقت عند جدي عشان ظروف شغله، جدي وقتها كان قبطان متقاعد وعنده فلوس وأملاك كتير لكن برغم كدا أبويا مكانش بيقبل مساعداته غير في أضيق الحدود، كان راجل طيب.. مقدرش أقولك غير كدا، كنت بحبه جدا وهو كان بيحبني يمكن أكتر من ابنه.. أعز من الولد

ولد الولد بقى.. اهتم بيا وصرف عليا دم قلبه عشان يوديني أحسن مدارس ويهيألي بيئة نضيفة أتربى وأعيش فيها، يمكن كان عايز يعوضني عن موت أمي أو عن انشغال أبويا، أو يمكن كان عايزني أكبر وأشيل اسمه وأبقى سنده وضهره في الدنيا زي ما كان بيقول.. كان حاطط في دماغه دايما إني لازم أطلع بني آدم مثقف ومحترم أهم من أي حاجة تانية، علمني أحترم وأحب الفن والقراية والمزيكا برغم إنه كان راجل شديد من بتوع زمان، علمني كمان الصلاة والصوم وكان بيحفظني قرآن.. تصدقي؟ أنا جيت معاه هنا أكتر من مرة وأنا صغير وكنا بننزل البحر ونضحك ونتبسط هنا في نفس الحتة اللي احنا قاعدين فيها دي.. لما كملت ٩ سنين أبويا سافر يشتغل برة عشان يحسن دخله ويعمل فلوس وأنا كملت حياتي عند جدي، ومن هنا بدأت كل حاجة حلوة تتغير واحدة واحدة.. بدأت سنة ورا سنة أحس إن كل حاجة عملهالي كانت عشان أحققله أهدافه وأحلامه القديمة اللي مقدرش يحققها هو، بقى بيتحكم في كل صغيرة وكبيرة في حياتي بشكل مش مناسب لسني.. وبصراحة أنا كمان بحكم إني كنت في سن مراهقة فا كنت بترجم حاجات كتير منه غلط، في الوقت دا كرهته لدرجة إني كنت مستني موته بفارغ الصبر.. وفعلا معداش وقت لحد ما في ليلة تعب واستغاث بيا.. ساعتها لما دخلت أوضته وشوفت في انعكاس عينه الموت وهو بيقرب قررت أسيبه.. قولتله إني هروح أجيب دكتور لكن الحقيقة إني دخلت أوضتي قفلت عليا الباب ونمت على أمل إني أصحى الصبح ألاقيه ميت، وفعلا تاني يوم كنت بدفنه، أنا حتى معملتلوش عزا يليق بمقامه.. أبويا لما جه الدفنة حاول يقنعني أسافر معاه لكني اتحججت بالدراسة وأقنعته إني هقدر أعيش لوحدي، كنت وقتها في ثانوية عامة فا وافق بسهولة وكتب أغلب ممتلكات جدي باسمي.. حسيت بالانتصار في الأول لكن بعدها بدأت أندم وأغير وجهة نظري

في الموضوع، فضل الندم ووجع الضمير يسيطروا عليا واحدة واحدة لحد ما حاولت أنتحر وفشلت، بعدها حاولت أكتر من مرة بنفس الطريقة لكن برضه كنت بفشل.. زي ما أكون مش عايز أموت بجد قد ما أنا بعاقب نفسي على اللي عملته، وأديني اتخرجت وهسافر قريب أشتغل عند أبويا.. بس هي دي الحكاية.

- بس أنا مش شايفة إنك كدا قتلته.. انت اه ممكن متكونش ساعدته لما استغاث بيك لكن برضه انت مقتلتوش.

- لو شوفتي حيوان في الشارع بيموت وسبتيه ومشيتي ضميرك بيوجعك وممكن متعرفيش تنامي بليل، ما بالك بقى لما يكون الإنسان اللي من غيره كان زمانك مشردة؟

- انت جيت هنا ليه؟

- عايزة تعرفي اللي قولته لنفسي ولخالد ولا الحقيقة؟

- الاتنين.

- اللي قولته لنفسي ولخالد هو إني عايز أفضي دماغي من المشاكل ووجع الدماغ وأعيشلي يومين حلوين قبل ما أسافر، لكن الحقيقة إني جيت عشانه.. جيت عشان أودعه وأدفن أي ذكريات جوايا من اللي عيشته في آخر خمس سنين من عمري هنا.. أنا مش عارف ازاي بحكيلك الكلام دا أصلا.. دي حاجات أنا بتجنب أواجه نفسي بيها.

- يمكن تكون فكرة إنك ترمي همومك وأسرارك على حد متعرفوش وبعد شوية ممكن متقابلوش تاني فكرة كويسة.

- على رأيك.

نظرت ليلى في ساعتها تلك النظرة التي كان يخشاها علي فسأل بقلق:

- إيه هتمشي؟

عادت بنظرها إليه وهي تضم كتفيها وتبتسم قائلة:

- لأ قاعدة معاك شوية.

ابتسم علي فرحا ثم نظر في عينيها للحظات وسأل:

- تحبي تنزلي البحر؟

ابتسمت ابتسامة قبول فخلع علي قميصه ثم أخذ بيدها ونزلوا البحر دون أن يهتم أحدهم للبرد أو لغرابة الموقف، بعد قليل من المرح والضحك ساد الصمت في المشهد، تبادلا النظرات في الأعين ثم ترك كلاهما الأمواج لتقربه من الآخر حتى احتضنها وبدأوا في تبادل القبلات، كان يبدو المشهد كمشهد النهاية في فيلم يحكي عن قصة حب بين "بوسيدون" إله البحر وعروس البحر، شد يدها وخرجوا من المياه مسرعين، لحظات قليلة وكانت ليلى نصف عارية تجلس فوقه على رمال شاطئ البحر ليلا، تلامس الأمواج أنامل قدمه، تحتضن كل ذرة من أجسادهم قرينتها من جسد الآخر، تقطع أظافرها المخدرة كل بقعة جلد من ظهره دون أن يشعر.. ويمزق بأسنانه أطراف شفتيها كفهد يلتهم آخر غزالة على الأرض أو مصاص دماء طال صيامه لسنوات.

****

الخميس ١٤ يوليو ٢٠١٦

"١٤ يوليو ٢٠١٦ امبارح كان أسعد يوم في حياتي، قابلت ليلى تاني وقضيت معاها ليلة ولا في الأحلام.. طول عمري كنت بتمنى أعيش حدوتة شبه حواديت الأفلام والروايات اللي بقراها لكن عمري ما كنت أتخيل إن دا هيحصلي فعلا وهيبقى بالحلاوة دي.. ياه.. من زمان مفرحتش أوي كدا، والأحلى من الفرحة إني مش خايف.. مش خايف حاجة تبوظ ولا متعشم في حاجة تحصل، مش عايز أي حاجة غير إني أشوفها تاني".

كانت هذه أولى كلمات علي التي قام بتسجيلها كمذكرة جديدة عند استيقاظه في مغرب اليوم الخامس، أدرك بعدها أنه من المقرر رحيله في صباح اليوم التالي أو تمديد فترة الاستئجار لخمسة أيام أخرى، لم يتردد في ارتداء ملابسه والتوجه إلى مكتب التسكين حتى يمدد فترة استئجاره للشاليه ويمضي بضعة أيام أخرى في هذا الحلم الجميل، كانت المرة الأولى له منذ مجيئه أن يخرج من الشاليه وقبلته ليست لشاطئ البحر، فضل اصطحاب "عزيزة" عن الذهاب سيراً على الأقدام حتى يلحق بمكتب التسكين قبل أن يغلق أبوابه، عند وصوله وقبل أن يخرج من السيارة بلحظات تلقى مكالمة دولية من رقم غير مسجل فظن أنها من والده وأجاب:

- ألو.

- أيوة يا علي ازيك؟

- تمام الحمد لله، مين معايا؟

- أنا عمك كمال اللي شغال مع والدك.

- اه أهلا وسهلا بحضرتك.. أؤمرني؟

- الأمر لله وحده.. علي أنا بس كنت عايز أسألك، هو انت جاي امتى؟

- أنا جاي قريب أهو والله، خلصت كل ورقي وإن شاء الله بالكتير أسبوع أو اتنين وهكون عندكم.

- إن شاء الله يا حبيبي.. بس متعرفش تستعجل أمورك شوية؟

- خير هو فيه حاجة؟

- بص يا علي انت دلوقتي كبرت وبقيت راجل ما شاء الله عليك ومش هخاف أقولك حاجة زي كدا.. والدك حالته الصحية سائت أوي الفترة الأخيرة وبقى محتاجك جنبه في أسرع وقت، هو ميعرفش إني بكلمك المكالمة دي بالمناسبة.. أنا اللي اتسحبت وجبت رقمك من سجل الأرقام اللي في مكتبه واتصلت بيك لما بقيت شايف حالته وهي كل يوم بتسوء عن اليوم اللي قبله.

- بس أنا لسه عندي شوية التزامات هنا لازم أخلصها.

- والدك أهم يا علي.. نصيحتي ليك يابني تعالى شوف أبوك واطمن عليه في أسرع وقت بعدها ابقى اعمل اللي يريحك.

- طيب.. أنا هكون عندكم في أقرب وقت إن شاء الله.

- إن شاء الله يا بطل.. توصل بالسلامة.

أغلق علي باب السيارة بعد أن كان على أتم استعداد للتوجه إلى مكتب التسكين وتمديد فترة استئجاره للشاليه، قرر العودة مرة أخرى والتوجه في الصباح إلى المطار، كان في غاية الضيق عندما أدرك أن الليلة ربما تكون آخر لياليه مع ليلى ولكن لم يكن باليد حيلة.. لم يأبه كثيرا لمرض والده بقدر خوفه من أن يندم مرة أخرى، فقد ذكرته كثيرا تلك المحادثة التليفونية بنداء الاستغاثة الذي تجاهله من قاسم الشامي ليلة وفاته.

****

" مريم سامحيني أنا آسف على الطريقة اللي عاملتك بيها امبارح، أنا عارف إن ملكيش ذنب ومصدقك من أول مرة قولتي فيها إنك متعرفيش حاجة عن إحساس علي تجاهك.. بس أنا كمان مكنتش في حالتي.. على فكرة أنا مش زعلان إنه بيحبك، هو مختارش يحبك انتي بذات ويمكن أصلا يكون بيحبك من قبل ما نعرف بعض.. أنا زعلان منه عشان الكلام اللي سمعته بوداني وهو بيقوله عليا، قال عليا كلام وحش أوي يا مريم.. لكن عشان خاطرك انتي بس وعشان أبقى خلصت ذمتي هروحله بكرة الشاليه تاني واحاول أصلح اللي حصل.. هحاول أقنع نفسي إنه كان سكران وبيهرتل بأي كلام زي ما بيقول.. المهم انتي متزعليش مني، انتي عارفة إني مليش غيرك في الدنيا دلوقتي".

كانت تلك هي الرسالة الصوتية التي أرسلها خالد إلى مريم في تمام التاسعة ليلا بعد أن يئس من محاولات اتصاله بها التي باءت بالفشل.

****

مع اقتراب منتصف الليل كان قد انتهى علي من حزم آخر أمتعته استعدادا للسفر في الصباح الباكر بعد أن حجز مقعدا على الطائرة التي ستقلع في التاسعة صباحا، أرسل للعم كمال رسالة تحمل موعد وصول طائرته ثم جلس يفكر في تذكارا يتركه لليلى قبل أن يرحل حتى تتذكره به في غيابه، لم يجد أنسب من الكمان الذي ورثه عن جده حيث كان يؤمن أن جزءا من روحه يسكن في هذا الكمان العتيق وأن لولاه لما كان التقى بليلى، أخرجه من صندوقه الخشبي ليتحسس ملمسه ويعزف عليه للمرة الأخيرة، برغم العشوائية التي كانت تتنقل بها أصابعه على أوتار الكمان ولكنها كانت من أفضل المرات التي عزف فيها منذ بداية رحلته مع الموسيقى، عزفت أصابعه مزيجا بين كل الألحان التي درسها منذ أن خطى أولى خطواته في معهد الموسيقى، بعد أن انتهى من العزف ونظر في ساعته ليدرك أنه قد حان موعد لقاء ليلى وضع الكمان بلطف في صندوقه الخشبي وهو يودعه ويلقي عليه آخر نظراته حيث أدرك في تلك اللحظة أنه كان رفيق رحلته الوحيد الذي لم يفارقه منذ البداية حتى ذلك الحين، أغلق أنوار الشاليه وخرج ليمضي في طريقه لآخر مقابلاته مع ليلى.

- يعني بذمتك أنا ولا الكمانجة؟

قام بتقبيلها من رقبتها وهو يجلس بجانبها قائلا:

- ودي فيها كلام برضه؟ انتي طبعا.

- أومال يا عم سايبني هنا وقاعد بتعزف على البتاعة دي جوة ليه؟

- معلش بقى.. أصل دي آخر مرة هشوفها فيها.

- إيه دا ليه كدا؟

- أبويا تعبان أوي وحالته الصحية بتتدهور، لازم أسافر الصبح.

- هتسيبني وتمشي؟

- أعمل إيه بس.. انتي عارفة إن لو عليا أنا عايز أعيش باقي عمري جنبك هنا، بس خايف أندم تاني وأحس إنه احتاجني جنبه وخليت بيه.

- معاك حق.. بس أنا مش فاهمة برضه، دا إيه علاقته بالكمانجة؟

- الكمانجة دي أنا عايزها تفضل معاكي، اعتبريها تذكار مني لحد ما نتقابل تاني، وحتى لو متقابلناش تاني خليها معاكي.

- ماشي يا سيدي تذكارك مقبول.. بس اشمعنى الكمانجة يعني؟

- وانتي عينك كانت في حاجة تانية ولا إيه؟

- لأ بجد مبهزرش.. يعني قصدي إن انت موهوب وعزفك كويس، ليه تستغنى عن الحاجة اللي بتطلع فيها موهبتك لواحدة مش عارف هتقابلها تاني ولا لأ؟

- الكمانجة دي عمرها فوق الأربعين سنة، جدي كان قبطان رحلة لليونان في السبعينات واشتراها من هناك، في مرة وأنا صغير صحيت من النوم لقيته بيطلب مني ألبس عشان أنزل معاه مشوار، كان عندي ٧ سنين تقريبا وقتها.. نزلنا وكان شايل في إيده صندوق خشب كبير كدا، سألته الصندوق دا فيه إيه مجاوبش عليا، فضل طول السكة كل ما أسأله يقولي "استنى بس يا علي هتشوف"، فجأة لقيته بيركن العربية وبيقولي انزل، خدني من إيدي ودخلنا مبنى قديم كدا ومعتق، الطرقة كانت

فاضية لكن كنت سامع من كل الأوض اللي بنعدي عليها أصوات آلات موسيقية وناس بتعزف، لقيته بيخبط على باب أوضة من الأوض وبيسأل عن تعليم كمانجة للأطفال، فهمت إنه عايز يعلمني موسيقى لكن مفهمتش ليه كمانجة بالذات طلاما لسه عندنا الاختيار؟ لحد ما لقيته بيفتح الصندوق اللي معاه وبيخرج منه الكمانجة دي.. وقتها محبتش الموضوع أوي وكرهت فكرة إني مختارتش الآلة اللي هتعلمها بنفسي، لكن مع الوقت حبيتها جدا واتعلقت بيها لحد ما بقت جزء مني.. أول لحن اتعلمت أعزفه عليها كانت نفس الأغنية اللي كنتي مشغلاها يوم ما اتقابلنا، يتهيألي مفيش أي حاجة أنسب منها أقدر أسيبهالك تذكار، ولو على العزف يا ستي متقلقيش هشتري واحدة غيرها.. بس الكمانجة دي بالذات لازم تفضل معاكي.

- علي انت حد قالك قبل كدا إنك جميل أوي؟

ابتسم علي وضمها إلى صدره للحظات ثم قال:

- المهم أنا عايز أطلب منك طلب.. فيه شاب بيشتغل هنا في مركز الخدمات اسمه عبادة، هكتبلك اسمه على ورقة عشان متنسيش.. عايزك تسألي عليه وتديله الفلوس دي.

أخرج علي من جيبه بضعة ورقات من فئة المئتين ثم أخرج من صندوق الكمان ورقة من نوت العزف وكتب على ظهرها اسم عبادة وبالأسفل "مركز الخدمات" حتى لا تتوه عنه وأكمل حديثه قائلا:

- هو في اجازة دلوقتي والمفروض كان هيعدي عليا بكرة لما يرجع بس شكله كدا مش هيلحقني، أنا لازم أمشي دلوقتي.

- مش هتخليك معايا شوية؟

نظر هو في ساعته تلك المرة ثم قال:

- لا يدوب كدا.. طيارتي هتطلع تسعة الصبح، ممكن رقم موبايلك عشان أقدر أوصلك وأنا هناك؟

- أنا معنديش موبايل، بس اديني ورقة وقلم أكتبلك عنواني.. يعني عشان لو رجعت في يوم من الأيام وحبيت تزورني.

ابتسم علي وأخرج لها ورقة أخرى من الصندوق وأعطاها القلم، كتبت عنوانا بإحدى المناطق القديمة بالإسكندرية ثم أعادت له الورقة فأعطاها قبلة أخيرة على جبينها ثم ترك مكانه وأدار ظهره استعدادا للرحيل، مشى بضعة خطوات حتى سمعها تناديه:

- علي.

عاد بنظره إليها مرة أخرى:

- متحاولش تموت نفسك تاني.

****

الفصل الثالث

بتوقيت الإمارات

الجمعة ١٥ يوليو ٢٠١٦

الساعة الثانية والنصف مساء.

هبطت طائرة علي في مطار الإمارات الدولي، خرج من الطائرة بعد رحلة جوية استمرت لقرابة الثلاث ساعات ونصف ليمشي أولى خطواته في مدينة لم يسبق له زيارتها من قبل ويستنشق الأوكسجين خارج حدود مصر للمرة الأولى منذ ميلاده، عندما انتهى من الإجراءات الروتينية التي تفيد دخوله للإمارات قرر الخروج لاستئجار سيارة تقله إلى منزل والده الذي كان قد كتب عنوانه في ورقة حتى لا يتوه عنه.. ولكنه سرعان ما سمع صوتا آت من خلفه مناديا باسمه، نظر إلى الخلف ليرى رجلا قصير القامة ويبدو في الخمسينيات من عمره، تنتشر في شعره الأسود بضع الخصال البيضاء، يرتدي بذلة عمل مهندمة وتبدو على ملامحه البشاشة.

- أيوة حضرتك بتناديني؟

- إيه يابني معرفتنيش ولا إيه؟ معلش معذور ما انت برضه ماشوفتنيش من أيام ما كنت عيل، أنا عمك كمال صاحب والدك.

- اه ازاي حضرتك؟ أنا بعت لحضرتك رسالة بميعاد الطيارة اللي هاجي عليها امبارح بس مكنتش عارف إنك هتيجي بنفسك تاخدني، ليه حضرتك تعبت نفسك كدا بس؟

- يا واد عيب اللي بتقوله دا تعبت نفسي إيه.. دا لولا إن الوقت كان ضيق ومجاتش فرصة كنت حكيتلك وأنا بكلمك عن أيام ما كنت بشيلك علي حجري وانت صغير وتعملها عليا.

ضحك علي وظهرت على وجهه ملامح تعجب لما يسمعه قائلا:

- ياه! دا واضح إن حضرتك معرفة قديمة بقى.

- أيوة طبعا يابني أومال بشتغلك؟.. أنا وأبوك نعرف بعض من أيام البهدلة، بس أبوك بقى الله يرزقه ويفتحها عليه أول ما جه اشتغل هنا وعمل اسم بعتلي أجيله عشان يشوفلي شغلانة معاه.

- غريبة.. سامحني يا عمو يعني بس أنا مش فاكر إني شوفت حضرتك قبل كدا.

- طبيعي يابني.. انت آخر مرة شوفتني فيها كانت وانت عندك سنة قبل ما والدتك الله يرحمها تروح عند اللي خلقها، المهم بس تعالى أما أوصلك البيت تقابل أبوك.. دا انت تلاقيك واحشه أوي يابني.

حمل العم كمال إحدى حقائب علي عنه ومضى كلاهما في اتجاه بوابة الخروج من المطار، لحظات وسأل علي:

- أومال بابا مجاش مع حضرتك ليه صحيح؟

- هو انت يابني مصدقتنيش لما قولتلك إنه تعبان ولا إيه؟

- لأ العفو طبعا.. بس للدرجادي يعني؟

- لما تشوفه هتفهم.

- هو تعبان عنده إيه طيب؟

- ياريته يابني راضي يروح لدكتور يكشف أو حتى نجيبله دكتور مخصوص لحد البيت.. أبوك دماغه ناشفة، كل ما أقوله نروح لدكتور يعرفنا عندك إيه يتحجج بالوقت وزحمة الشغل.. بس اللي هو فيه دا طبيعي يابني بالنسبة لواحد في سنه وشايل حمل الشغل كله على كتافه.

- وارد برضه.

ابتسم العم كمال ثم نظر إلى علي سائلا:

- وحشك ها؟

- هو مين دا؟

- الله! أبوك يا واد.. يعني هيكون مين يعني؟

- اه وحشني.. وحشني أوي.

انتهى العم كمال من مساعدة علي في وضع حقائبه في السيارة ثم ركب على مقعد السائق وركب علي بجانبه متجهين إلى منزل محمود قاسم الشامي.. بعد أن تحركت السيارة بدقائق قطع العم كمال هدوء الرحلة بقوله:

- بالمناسبة يا علي أنا نسيت أعزيك في روح جدك الله يرحمه، أنا عارف إنها متأخرة شويتين بس والله يابني كان بودي آجي العزاء

وأعزيك بنفسي لولا إن أبوك طلب مني إني أفضل هنا وأخلي بالي من الشغل لحد ما يرجع.

- لا ولا يهم حضرتك أنا فاهم أكيد.. الله يكون في العون.

- بطل حضرتك حضرتك اللي عمال تقولها دي يا واد أنا زي أبوك.

ابتسم علي ثم سأل:

- أومال تحب أنادي حضرتك بإيه طيب؟

أجاب العم كمال ضاحكا:

- شوف الواد برضه هيقولي حضرتك.. قولي يا كمال.

- مش صعبة شوية دي؟

- لا ولا صعبة ولا حاجة، أحفادي بيقولولي يا كمال.. وبعدين احنا لسه قدامنا شغل كتير والألقاب دي هتعطلنا ولا إيه يا بطل ها؟

- ماشي يا كمال مفهوم.

مع دقة الساعة الرابعة كان قد وصل علي إلى منزل والده بصحبة العم كمال الذي ظل طوال الطريق يحدثه عن جمال المدينة ورفاهية الحياة التي يقبل عليها والأماكن التي يود أن يصطحبه إليها قبل بدء العمل، عندما وصل علي وألقى بنظرته الأولى تفاجأ من فخامة مسكن والده.. فيلا من الطراز الحديث تحيطها حديقة واسعة وحمامي سباحة بأطوال مختلفة، عدد فردين من الحراسات الخاصة يتقدمون بوابتها الداخلية وثلاثة آخرون علي البوابة الخارجية.

- دا بجد دا ولا إيه؟

كانت تلك هي الكلمات التي همس بها علي وهو على بعد خطوات من الدخول، فإنه لم يتخيل يوما أن والده الذي كان موظفا كادحا في إحدى المؤسسات الحكومية قبل أعوام يملك الآن كل هذا القدر من المال والرفاهية وله من الأهمية ما يجعله يعين خمسة أفراد لحراسته الشخصية.. ابتسم العم كمال ثم نظر إليه وقال:

- أنا عارف إنك مستغرب يا علي.. بس اللي عايزك تفهمه يابني إن كل دا مجاش بالسهل، أبوك تعب وشقي سنين طويلة عشان يوم ما انت تشرف تلاقي المنظر دا.. أقسملك بالله يابني كنا بنقعد أنا وأبوك بالأيام مبناكلش.. كنت أفضل أقوله يا محمود متنشفش دماغك وابعت هات ابنك الغلبان اللي مرمي في مصر لوحده دا يعيش معاك هنا وأهو يشيل عنك الشغل شوية.. لحد ما يزهق من زني ويكلمك تقوم انت كمان منشف دماغك ومعرفش ألاقيها من مين فيكو.. وقتها افتكرت إنه بيراضيني وإنه مش شايل هم مجيتك لكن بعد كدا فهمت إنه مكانش عايز يبعت يجيبك غير لما يوفرلك عيشة تعوضك عن اللي فات.. تعالى بقى يا بطل أما أفرجك على البيت.

تقدم العم كمال وطرق جرس الباب، مرت لحظات حتى فتحت له الباب شابة في مقتبل العمر.. قمحية اللون ذات شعر أسود لامع وعينين بنيتين وبشرة نقية، لها غمازتان واضحتان وتتمتع بملامح شرقية تضفي علي وجهها السحر، طويلة القامة ذات جسد متناسق وترتدي ملابس عمل رسمية مع بضعة لمسات أنثوية تلائم نضرتها:

- ازيك يا عمي؟

- أهلا يا بنتي ازيك؟

- الحمد لله كله بخير.

- طب إيه ناوية تسيبينا واقفين على الباب كدا؟

- لأ طبعا يا عمي آسفة.. اتفضلوا.

دخل العم كمال إلى المنزل وبرفقته علي، اقتربت الفتاة من أذن العم كمال وسألته بصوت خافت وهي تشير برأسها إلى علي:

- هو مين دا؟

- اه أنا نسيت أعرفكم ببعض.. أعرفك يا بنتي، دا علي.

- إيه دا علي مين؟! علي ابن محمود بيه؟

- أيوة مظبوط.. أول ما عرف بالحالة اللي محمود فيها ساب كل التزاماته ودنيته في مصر وجه عشان يطمن عليه.. اعملي حسابك كمان إنه من هنا ورايح هيبقى معانا في الشغل.

- ممم.. طيب كويس والله.

- وانت يا علي يابني أعرفك.. دي نغم، سكرتيرة والدك ودراعه اليمين في الشركة، مش بس كدا.. احنا هنا كلنا بنعتبرها بنته وهو قبلنا، الله يكرمها ويجازيها كل خير واخدة بالها من صحته طول الوقت ومش مخلياه محتاج أي حاجة من يوم ما رجلها خطت عتبة البيت دا.. يعني تقدر من هنا ورايح تعتبر إن بقى ليك أخت جديدة.

نظر العم كمال إلى نغم موجها حديثه لها وقال:

- يلا يا نغم يا بنتي خدي علي فرجيه على البيت ووريه أوضته فين عشان زمانه تعبان من السفر وعايز ينام.

عاد بنظره مرة اخري إلى علي قائلا:

- والدك زمانه اخد كورس المهدئ ورايح في سابع نومة دلوقتي.. هخش أنا أصحيه على ما نغم تفرجك على البيت، سيب انت شنطك هنا والشغالين هيطلعوهم على الأوضة متقلقش.

ترك علي حقائبه وذهب بصحبة نغم ليلقي نظرة على منزله الجديد، لم تبد تعابير وجه نغم مرحبة بوجوده ولكنه لم يأبه لها كثيرا.. فقد ظن أنها مجرد ساقطة من الذين اختارهم والده ليؤنسوا وحدته في الغربة.. ربما ساقطته المفضلة، فليس من الطبيعي لساقطة عشرينية أن تحبذ وجود الشخص الذي تظنه جاء ليستولي على كل ورقة نقدية كانت سببا في مضيعة شبابها بجانب رجلا في السابعة والخمسين من عمره.

كان للمنزل ذوق رفيع.. حيث كانت قطع أثاثه قليلة العدد وفي غاية الأناقة.. تماما كما يفضل فنانون القرن الواحد والعشرون مثال علي، كانت هنالك أيضا بضعة قطع من الأنتيكات التي ذكرته بفيلا قاسم الشامي كالجرامافون والمراكب المصنعة يدويا والمنحوتات المصغرة للآلهة اليونانية، بارا للخمور في غرفة المعيشة وعلى الحائط لوحة تخيلية بألوان الزيت لأحد محاربي الثيران في "الكولوسيوم"، وفي آخر محطاته كانت هنالك غرفة نوم من الطراز الحديث لم يلفت انتباهه شيئا منها في تلك اللحظة إلا سرير واسع يناديه.. قام بشكر الساقطة على رحلتها معه وأبلغها بحاجته للنوم فسألته:

- مش حابب تقابل محمود بيه قبل ما تنام؟

- لأ خليه هو كمان نايم بلاش أصحيه.. هبقى أقابله بليل.

- طيب زي ما تحب.

خرجت نغم وتركته لينام، ألقى بجثته على الفراش وعلق بصوت خافت على آخر كلماتها: "طبعا زي ما أحب.. ما كنتي تيجي شوية.. هاها"

****

السبت ١٦ يوليو ٢٠١٦

الساعة الخامسة صباحا بتوقيت الإمارات.

استيقظ علي بعد رحلة من الأحلام طالت مدتها ثلاث عشرة ساعة، تعجب أنه قد نام كل تلك المدة عندما نظر في ساعته.. قام بإشعال سيجارة ثم أنار هاتفه ليلقي نظرة سريعة على حساباته بمواقع التواصل الاجتماعي التي كان قد أهملها على مدار الأيام السابقة، تفاجأ بعدم وجود اسم خالد على قائمة محادثاته واستنتج سريعا أنه قد قام بعمل "بلوك" له فنفخ من فمه كتلة من الضيق وعاد برأسه إلى الخلف موجها نظره للأعلى ثم أغلق هاتفه دون أن يلتفت، ترك مكانه في الفراش وارتدى قميصه ليذهب باحثا عن الحمام حتى يقوم بغسل وجهه، لم يجد غايته في الطابق العلوي فمضى بخطوات هادئة إلى الطابق السفلي حتى لا يزعج سكان المنزل الذي لا يعرف شيئا عن عددهم وهوياتهم حتى الآن، وصل إلى غرفة المعيشة بالطابق السفلي ليتفاجأ برجل ماكث على سجادة صلاة في ظلمة الفجر، يعطيه ظهره موجها قبلته إلى لوحة محارب الثيران ويقرأ التشهد بصوت مسموع، بالرغم أنه لا يرى منه سوى انعكاس ضوء القمر على كتفه الأيمن ولكنه لم يحتج للكثير من الوقت حتى يستشف هويته.

- تقبل الله.

التفت الوالد مسرعا عند سماعه تلك الكلمات ثم ابتسم ابتسامة عريضة أظهرت على وجهه ملامح المرض وتقدم السن، بادله علي الابتسامة ثم أكمل حديثه بتعليق ساخر:

- طب مش كنت تداري أزايز الخمرة اللي على البار اللي جنبك الأول؟ ولا دول لزوم الضيافة ولا إيه؟

- مفيش فايدة فيك.. لسه لمض زي ما انت.

ضحك علي ثم اقترب منه ومد له يد العون ليساعده على القيام من مكانه ثم سارع كلاهما باحتضان الآخر بحرارة:

- ازيك يا بابا؟

- ازيك يا حبيبي؟ وحشتني.

- وانت أكتر والله.

- مش باين ياخويا.

- ليه كدا بس؟

- بقى يا واد يا ندل انت أعرف بالصدفة إنك هنا من امبارح وطلعت أوضتك نمت من غير ما تيجي تسلم عليا؟

- معلش بقى يا بابا انت عارف تعب السفر.. وبعدين عرفت من عم كمال إنك تعبان ومرضتش آجي أصحيك.

- ولا تعبان ولا حاجة أنا زي الفل الحمد لله بس هو عمك كمال عادته كدا بيحب يبالغ.. انت مقولتليش ليه يابني إنك جاي دلوقتي؟ مش كنت هتيجي كمان أسبوع أو أسبوعين باين؟

- لا ماهو.. ماهو أصل أنا لقيت نفسي خلصت كل حاجة ورايا في إسكندرية فا قولت آجي علي أول طيارة بقى هستنى إيه.

- نورت يا حبيبي.. المهم قولي، قابلت نغم؟

- نغم مين؟.. اه نغم.. قابلتها اه اشمعنى؟

ابتسم الوالد ثم سأل بصوت خافت:

- عجبتك؟

- نعم!!

- إيه مسمعتنيش؟! بقولك عجبتك؟

- إيه اللي انت بتقوله دا بس يا بابا عجبتني إيه.. احنا متفقين إني جاي أشيل عنك الشغل مش جاي عشان حاجة تانية.

- وماله يا حبيبي هو حد قال حاجة.. تشيل عني الشغل وأفرح بيك في نفس الوقت.. ولا انت مستكتر عليا أفرح بيك؟

- تفرح بيا يعني إيه؟ انت بتتكلم بجد؟

- يابني هو أنا بعد العمر دا كله ههرج معاك؟ البت بنت أصول ومتتعايبش.. ولو على الجمال فا هي ما شاء الله عليها قمر أربعتاشر.

قطع حديثهم صوت جرس الباب فسأل علي والده:

- وده مين دا اللي جاي دلوقتي؟

- دا تلاقيه عمك كمال.. روح افتحله.

ذهب علي ليفتح الباب ثم قال والده بنبرة صوت عالية:

- واعمل حسابك كلامنا لسه مخلصش ها!

- إن شاء الله.

فتح علي الباب ليجد خلفه العم كمال تماما كما توقع محمود الشامي، كان يحمل في يديه بعض الأكياس التي تفوح منها رائحة الطعام:

- صباح الخير يا عم كمال.. اتفضل.

- صباح النور يا علي يابني.

- تعالى يا كمال احضرنا.

- خير في إيه؟

- مفيش حاجة يا عم كمال.. دا بابا بس زعلان إني مدخلتش سلمت عليه امبارح أول ما جيت.. خلاص بقى يا بابا متزعلش.

- متصغرش دماغك بقى يا محمود الواد أكيد كان تعبان وعايز ينام ومرضيش يقلقك انت كمان من منامك.

- أهو شوفت بقي؟

- ماشي ياخويا.. هعديهالك.

- أما أنا بقي جبتلكوا معايا شوية فول وفلافل من بتوع إسكندرية إنما إيه.. هتاكلوا صوابعكم وراهم.

- تعبت نفسك برضه انت يا عم كمال.. وبعدين جبتهم منين دول؟ هو فيه حد بيبيع فول وفلافل هنا؟

- لا عيب.. دول عمايل إيديا.

- تسلم إيدك.

- يلا بقى خد أبوك وروحوا استنوني في الجنينة على ما أحط الأكل في الأطباق وأجيلكوا نفطر سوا.

- استنى طيب هاجي أساعدك.

اتجه محمود إلى طاولة الطعام بحديقة الفيلا، جلس وأخرج علبة سجائر من أحد جيوبه وقام بإشعال سيجارة منتظرا أن يأتي علي وكمال بوجبة الفطور، تعجب قليلا من تلك الارتياحية التي جاءت سريعا في التعامل ما بين نجله وصديق عمره.. فمن معلوماته القليلة عن شخصية علي أنه لطالما كان شابا ذا شخصية انطوائية لا يحبذ وجود الأغراب ولا يجيد التواصل معهم.. فربما غيرته حياة الوحدة، أو ربما بشاشة العم كمال وشعره الأبيض هم الذان جعلوه من القلة المؤهلة لنيل ثقة الآخر دون عناء.. قطع حبل أفكاره وصول علي بصحبة العم كمال حاملون معهم أطباق الطعام بالفعل.

- وبعدين معاك بقى يا محمود.. اطفي البتاعة اللي في إيدك دي وابقى ولعها بعد ما ناكل.. بلاش على الريق كدا.

- انت بتدخن يا عم كمال؟

- لا يابني الحمد لله عمرها ما دخلت بوقي.

- اه.. يبقى عشان كدا متعرفش حلاوة السجارة اللي بتبقى عالريق دي.

- سامع ابنك يا محمود بيقول إيه؟ انت عارف إنه بيدخن وسايبه كدا؟

- يعني هو كان لسه عيل في ثانوي يا كمال.. وبعدين دا أول مرة في حياته يقول حاجة صح.. جدع يلا يا علي.

- شكل كدا ربنا ابتلاني باتنين عيال أكتر من بعض.. يلا ما علينا، مدوا إيديكوا بسم الله.

مضت قرابة العشر دقائق لهم وهم يتناولون الفطور حتى قطع العم كمال صوت تصادم الملاعق والسكاكين بالأطباق وسأل:

- أومال البت نغم فين صحيح؟

- أنا صحيت ملقتهاش.. تلاقيها سبقتنا عالشركة كالعادة عشان تفتح للموظفين.

- الله يكون في عونها.. البت دي بمية راجل والله.

رفع محمود رأسه من الصحن ونظر إلى علي قائلا:

- على رأيك.. بت جدعة وزي القمر.. بس هنقول إيه بقى.

قطع علي حديثهم بسؤال عابر لا يوجد من ورائه أي أهداف سوى إنقاذ نفسه من نقاش قد استشم رائحته من على بعد:

- ألا قولي يا عم كمال صحيح.. أنا لسه محدش فهمني دوري هيبقى إيه في الشركة.. هعمل إيه يعني؟

نظر العم كمال إلى محمود فهز محمود رأسه بالإيجاب مشيرا للعم كمال أن يشرح له دوره المستقبلي في الشركة فعاد بنظره لعلي مرة أخرى وأجاب مبتسما:

- هندربك عشان تمسك الحسابات إن شاء الله.

- بس أنا مفهمش أوي في شغلانة الحسابات دي لسه.

- ملكش دعوة.. سيبلي نفسك انت بس وأنا هعلمك كل حاجة بتمشي ازاي.

- ماشي، أنا كدا شبعت الحمد لله.. هقوم ألبس في السريع وأنزل أستناكوا عشان نروح الشغل.

- لا لا على فين؟.. انت معايا النهاردة يا بطل، مش اتفقنا امبارح؟

سأل محمود:

- اتفقتوا على إيه؟

- أنا وعلي اتفقنا اني هاخده أفرجه على البلد وأفسحه فيها شوية قبل ما نبدأ شغل.. دا بعد إذنك يا محمود طبعا.

- لا مفيش مشاكل.. بس خد بالك انت وهو من بكرة مفيش الدلع دا.

- عيب عليك يا محمود.. سيبهولي انت بس ووعد مني بكرة من النجمة هيبقى عندك في الشركة.

- ماشي.. أما نشوف.

مع دقة التاسعة مساء كان قد أنهى علي رحلته الاستكشافية مع العم كمال وعاد إلى المنزل ليبدل ملابسه ثم يخرج للجلوس في الحديقة وحيدا في هدوء لا يعكر صفوه إلا صوت تصادم الرياح بالأشجار، تأكد

من عدم وجود أحد من سكان المنزل في المحيط ثم أخرج هاتفه ليسجل أولى مذكراته بعد السفر:

"١٦ يوليو ٢٠١٦.. النهاردة تاني يوم ليا هنا.. هنا فين؟ هنا في الإمارات، زي دلوقتي من يومين كنت بحضر نفسي عشان أقابل ليلى وفاكر إني هعرف أقعد معاها كام يوم كمان، ومن ييجي أسبوع كنت ببارك لخالد على التخرج وفاكر إننا هنفضل صحاب للأبد، لكن اللي حصل إني بين يوم وليلة لقيت نفسي هنا.. ازاي؟ معرفش، لقيت نفسي هنا وأنا خسران كل حاجة أولهم نفسي، نفسي اللي بيعتها عشان أبدأ حياة جديدة في بلد جديدة وبشخصية مش شخصيتي في بدلة مش لايقة عليا.. على رأي خالد، اللي أبويا عمله زمان كان يديني الحق إني أرفض أسافرله من غير ما أضطر أدي أي مبررات، بس أنا اللي اخترت أبقى هنا.. مقدرش أقول إن البلد هنا وحشة أو إن العيشة هنا خذلت توقعاتي بالعكس.. البلد حلوة أوي وأبويا طلع غني فشخ وعنده فيلا وطقم عربيات محترم وبتاع.. قابلت كمان راجل طيب كدا اسمه كمال، بيقول إنه صاحب أبويا وشغال معاه من زمن.. وبيقول كمان إنه كان بيشيلني وأنا صغير وكنت بعملها عليه.. بعيدا عن إني مش مصدق حكاية إني كنت بعملها عليه وأنا صغير دي بس هو راجل زي السكر والله.. بيعاملني زي ابنه لدرجة إنه ساب شغله النهاردة مخصوص عشان ياخدني يفرجني على البلد حتة حتة.. على قد ما اليوم النهاردة كان حلو وعلى قد ما عيشتي هنا شكلها هتبقي كويسة وفيها برستيج محترم بس أنا برضه مش حاسس إني مرتاح.. حاسس إني عايز أرجع إسكندرية تاني سواء على البيت أو الشاليه، نفسي ألبس وأنزل أقعد مع خالد على القهوة تاني وسط زحمة الناس ونفضل نضحك ونتكلم لغاية الشمس ما تطلع، نفسي أرجع ليوم من أيام الكلية لما كنت بقضي النهار

كله من أوله لآخره مبعملش أي حاجة غير إني قاعد بتفرج على مريم وبراقب تصرفاتها من غير ما حد يعرف.. أو حتي أرجع على الشاليه تاني وأستنى لما تيجي الساعة واحدة عشان أطلع أقابل ليلى زي المجانين، بس خلاص بقى مبقاش ينفع.. ولا خالد بقى ينفع بعد اللي حصل إني حتى أكلمه على التليفون أسأل عليه.. ولا بقى في كلية أشوف فيها مريم.. ولا حتى بقى ينفع أرجع الشاليه تاني عشان أشوف ليلى، يمكن ربنا يكون كاتبلي حاجة جديدة أعيشها هنا، ويمكن تلف بيا الأيام وأرجع لحياتي القديمة تاني.. كل اللي بإيدي أعمله إني أستنى وأسيب الموجة تاخدني وتوديني وأشوف في الآخر ناوية ترسي بيا على أنهي بر"

- معاك ولاعة؟

سمع علي تلك الكلمات آتية من الخلف بصوت أنثوي هادئ فور انتهائه من التسجيل، انتفضت رأسه ونظر خلفه ليجدها نغم:

- نعم؟؟

- معاك ولاعة؟!

- اه.. اتفضلي.

أخرج علي من جيبه ولاعة وأعطاها لها، قامت بإشعال سيجارة ثم أعادت له ولاعته قائلة:

- شكرا.

- العفو على إيه.

سحبت نغم أولى أنفاسها ثم نظرت إلى علي لوهلة وقالت:

- لما انت عايز ترجع إسكندرية.. إيه اللي جابك؟

- انتي كنتي بتتصنتي عليا؟

- وأنا أتصنت عليك ليه! أنا بس سمعتك بتقول كدا بالصدفة وأنا جاية.

- ممم.. وسمعتي إيه كمان؟

- مش مهم ومش فارق معايا أي حاجة تانية سمعتها، أنا بس تفرق معايا إجابة السؤال دا.. دا لو معندكش مانع تجاوبني عليه يعني.

- لا مش مهم ازاي بقى.. ماهو انتي لو بتسمعي من بدري كان زمانك عرفتي الإجابة.

- ريح نفسك.. أنا لسه جاية دلوقتي، هتجاوبني ولا أمشي؟

- لا وعلى إيه.. جيت عشان أبويا كبر وبقى محتاجني أبقى جنبه وأساعده في الشغل، أي أسئلة تاني؟

ابتسمت نغم ابتسامة سخرية ثم قالت:

- أبوك تعبان ومحتاجك جنبه بقاله سنين وانت مبتسألش فيه.. اشمعنى دلوقتي يعني؟

- مش فاهم.

- يعني إيه اللي خلاك تيجي دلوقتي بالذات؟

- جيت دلوقتي عشان مكانش ينفع آجي قبل كدا.. أنا كنت في كلية ولسه متخرج من أسبوع لو متعرفيش يعني.

- لا عارفة.. وعارفة كمان إنك كنت من المتفوقين في دفعتك ما شاء الله، بس أنا مش قصدي كدا.. قصدي انت فاهمه كويس.

- لا الحقيقة مش فاهم.. ممكن تتكرمي وتفهميني؟

بدأت ملامح العبوس في الظهور على وجه نغم، حاولت تمالك أعصابها ولكنها فشلت في السيطرة على لهجتها الحادة وقالت:

- طب اسمعني بقى وركز في كلامي كويس أوي.. أبوك الغلبان اللي فوق دا من يوم ما عرفته وهو بينام يقوم يحلم بيك، يا حرام فاكر إن دراستك هي اللي مانعاك عنه وبيدورلك على حجج في كل دقيقة بتعدي من غير ما تكلمه تسأل عليه.. فا ياريت بعد إذن سيادتك لو عندك ريحة الدم تبطل تشتغل الراجل الطيب اللي بيموت فوق دا وتاخد بعضك وتمشي.

بات الاندهاش على تعابير وجه علي من لهجتها الهجومية، لم يتقبل عقله استيعاب اسلوبها في الحديث فقال:

- بس بس بس.. انتي مجنونة ولا حد ضاربك على دماغك ولا إيه؟ انتي مين أصلا عشان تكلميني كدا؟

- اعتبرني مجنونة.. لو عايز فلوس اطلع خد اللي انت عايزه وامشي.. إنما جو الحنين إلى الأب والأفلام الهندي اللي جاي تعملها على أبوك دي لو دخلت عليه فا مش هتدخل عليا.. أنا عارفة كويس إنه مش فارق معاك بنكلة وإنك جاي تورثه وتمشي.. لكن تبقى عبيط لو جه في بالك

للحظة إنك هتعرف تضحك عليه وتخليه يموت وهو فاكرك الابن الوفي طول ما أنا موجودة.

- خلصتي؟

ربعت نغم ذراعيها ونظرت إليه بتحدي فقال:

- احنا مبنشغلش مجانين عندنا.. اعتبري نفسك مرفودة من بكرة.

ألقت نغم بسيجارتها علي الفور ثم التفت بظهرها عائدة من حيث أتت وابتسم علي ابتسامة انتصار، مرت لحظات معدودة حتى عادت مرة أخرى بخطى تحمل ذات الإيقاع التي تحمله لهجتها الهجومية وقالت:

- انت فاكر نفسك مين! لو فاكر إن البيت دا بيتك تبقى غلطان! البيت دا بيتنا احنا وانت اللي ضيف علينا.. مش بعد كل السنين دي هييجي عيل زيك يمشي كلمته عليا هنا انت فاهم!

كانت كلماتها كالقذائف التي أطلقت على وجه الأخير لتعبث بتعابيره وتؤرجحها ما بين الاندهاش والغضب، لم تعطه حتى فرصة الرد حيث عادت مرة أخرى من حيث أتت بعدما ركلت في طريقها أحد كراسي الحديقة تعبيرا عن البركان الذي يشتعل بداخلها.

****

الأحد ١٧ يوليو ٢٠١٦

الساعة الثانية عشر ظهرًا بتوقيت الإمارات.

أنهى علي تدريبه الأول في قسم الحسابات تحت إشراف خاص من العم كمال الذي استثناه عن بقية المتدربين وعين له مكتبا خاصا من مكاتب قدامى الموظفين على اعتبار الأفضلية التي يملكها عن بقية المتدربين والمنصب الذي يستعد لأخذه في المستقبل القريب، كان يعامل باحترام بالغ من جميع الموظفين بعد أن علموا عن طريق إحدى هفوات العم كمال أن هذا الشاب البوهيمي ذو اللحية الطويلة وربطة العنق غير المحكمة ربما تكون له اليد العليا في حيواتهم مستقبلا، نظرات حاقدة من الجميع تصطحب معها ابتسامات مزيفة ومجاملات كاذبة.. كان هذا ما لم يحبه علي خصوصا وأن أغلبهم يكبرونه عمرا وخبرة، قرر عزل نفسه عن تلك الأجواء فطلب من عامل البوفيه إحضار فنجان من القهوة وذهب لينتظرها على مكتبه الجديد، مكتب من الطراز الملكي ذو مساحة يرمح فيها الخيل ومقاعد مغطاة بالجلد الطبيعي، لم يهتم علي كثيرا لتلك المظاهر بقدر اهتمامه لبرواز صغير على طاولة المكتب يحمل صورة لامراة ثلاثينية لا يتذكر رؤيتها من قبل.

- القهوة دي داخلة لمين يا عم حسين؟

- دي داخلة للأستاذ علي.

- طب هات هدخلهاله أنا.

كان هذا الحوار القصير الذي سمعه علي يدور خلف باب المكتب ما بين العم كمال وعامل البوفيه قبل أن يطرق العم كمال باب المكتب ويدخل حاملا معه القهوة.

- أتمنى يكون المكتب عجبك يا علي يابني.

وضع العم كمال فنجان القهوة على الطاولة بينما أجابه علي مبتسما:

- تسلم إيدك.. المكتب حلو بس مكانش له لزوم دلوقتي يا عم كمال.. مش لما أشتغل الأول؟

- يا سيدي متستعجلش الشغل جاي جاي يعني هيروح فين.. كلها أسبوع ولا اتنين وتخلص التدريب وتتعين رسمي، لولا إن أبوك هو اللي طلب مني تنزل تدريب الأول عشان الموظفين مياكلوش وشنا كان زماني قاعد معاك دلوقتي بباركلك على مكتب مدير الحسابات فوق.

ضحك علي قائلا:

- مش للدرجادي يعني يا عم كمال دي كدا تبقى كوسة رسمي.. على الأقل راعوا شعور الشباب الغلبان اللي قاعد برة دا.

- الحكاية مش كدا يابني والله.. كل الحكاية إن أنا وأبوك عجزنا ومبقيناش ضامنين نعيش لبكرة.. ولو حصلنا حاجة انت هتلاقي نفسك معكوك في الهايلامان دا كله لوحدك.. فا لازم على الأقل تاخد كرسي كبير من دلوقتي عشان تعرف الإدارة بتمشي ازاي وأبوك يبقى مطمن على الشركة اللي ضيع عمره بيبني فيها.

- متقولش كدا بس يا عم كمال بعد الشر عليكوا.. وبعدين هو مين ضامن يعيش لبكرة يعني يا راجل يا طيب.. سيبها على الله.

- ونعم بالله يابني.. المهم أنا عايزك في موضوع..

- موضوع إيه؟

- نغم حكتلي على اللي حصل بينكم ليلة امبارح.. وبصراحة زعلتني منك يا علي.

- يا عم كمال دي بت مجنونة.. كنت قاعد في حالي لقيتها جاية ترمي بلاها عليا وتقولي مش عارف إيه اشمعنى جاي دلوقتي وتلقح بكلام عبيط.. انت أكتر واحد عارف إني مجتش عشان فلوس ولا نيلة وإني مكنتش ملهوف على السفر ولا مستعجل لحد ما انت بنفسك كلمتني وقولتلي إن أبويا بيموت، ساعتها سيبت كل حاجة ورايا وكنت عندكوا تاني يوم الصبح.

- يابني هو انت محتاج تقولي أنا الكلام دا ما أنا عارف.. وعارف كمان إن جدك الله يرحمه كان سايبلك فلوس كويسة تعيشك مرتاح في مصر، بس برضه البت غلبانة ومكانتش تستاهل منك تقولها نرفدك وشغالة عندنا والكلمتين اللي ملهمش لازمة دول.

- يا عم كمال انت عارف إني مش كدا وإن دي مش أخلاقي ولا طريقتي في التعامل مع الناس.. بس حط نفسك مكاني، واحدة متعرفهاش ولا تعرفلها أصل ولا فصل تدخل عليك بليل تتهمك إنك جاي تسرق أبوك وتورثه وتمشي وتزعق فيك زي المجانين.. عايزني أطبطب عليها ولا أسيبها تهزقني وتمشي؟

- معلش يابني معلش حقك عليا أنا.. هي بس عشان لسه متعرفكش ولا تعرف الحكاية من أولها، بس أنا من ناحيتي بأكدلك يابني إن البت دي بنت ناس وغلبانة.. وأقسملك بالله إن لولاها كان زمان أبوك اتبهدل، هي بس طاقة شوية ولسانها فالت.

- على نفسها يا عم كمال الله يرضى عليك مش عليا.. عموما أنا ولا كنت عايزكوا ترفدوها ولا بتاع.. هي بس حرقتلي دمي وكنت عايز أردلها حرقة الدم مش أكتر.. ربنا ما يجعلنا من قطاعين الأرزاق.

- يسلم فمك يا أبو قلب نضيف.. أيوة كدا يا واد.. هو دا علي اللي أنا أعرفه وشيلته علي كتافي وهو صغير.

ضحك علي قائلا:

- تاني هتقولي شيلتك على كتافي يا عم كمال؟ خلاص يا عم كمال ارفدوها.

بادله العم كمال الضحك ثم قال:

- ومعلش يابني أنا ليا عندك طلب تاني.

- إيه تاني؟

- أنا عايزك تقعد معاها وتطيب خاطرها بكلمتين.. البت يا ولداه مقهورة ومتحسرة من امبارح إن بعد العمر دا كله تسمع الكلمتين دول.

قاطع علي حديثه منفعلا:

- لا لا لا.. أقعد مع مين يا عم كمال وأطيب خاطر مين؟ دا هي اللي تيجي تعتذر على البلاعة اللي فتحتها عليا امبارح دي.

- يابني اسمعني بس.. ماهو برضه مينفعش تبقوا قاعدين مع بعض في بيت واحد وشكوا في وش بعض والنفوس مش صافية، وبعدين ما قولتلك إنها متعرفش حكايتك انت وأبوك من الأول.

- ولما هي متعرفهاش بتروح ترمي تهم على الناس بالباطل ليه يا عم كمال؟

- يابني معذورة حط نفسك مكانها.. البت من يوم ما شافت أبوك مسمعتش عنك لدرجة إنها سألتني قبل كدا إذا كنت متبري منه.. متعرفش حاجة عن الاتفاق اللي دار بين أبوك وجدك زمان ولا تعرف إنك متوعاش على أبوك من وانت عيل في ابتدائي.

- حتى لو.. وهي مالها أصلا أنا جاي أورث ولا أتنيل.. يشغلها في إيه؟

- لأ في دي اسمحلي يابني أقولك انت غلطان.. نغم بقالها ييجي عشر سنين سايبة دنيتها ومفيش وراها حاجة غير أبوك وخدمته لحد ما بقينا نعتبرها واحدة مننا وأبوك بقى يعتبرها بنته اللي مخلفهاش، حتى الجواز كبرت وهي مستغنية عنه عشان هيبعدها عن أبوك.. فا طبيعي دلوقتي تبقى خايفة على مصلحته وتهب في أي حد تحس بس إن نيته مش صافية من نحيته.

هدأ علي بعض الشيء ورضخ لكلمات العم كمال قائلا:

- ماشي يا عم كمال هبقى أقعد معاها بس بعدين مش دلوقتي.. المهم صحيح أنا عايز اسألك على حاجة.

- اتفضل يابني.

- هي مين الست اللي صورتها في البرواز دي؟

صمت العم كمال للحظات ظهرت فيها ملامح التعجب على وجهه فسأل علي:

- إيه يا عم كمال مالك؟

ضحك العم كمال قائلا:

- انت بتهزر صح؟

- لا مش بهزر والله.. مين دي؟

- دي والدتك الله يرحمها يابني!

لم يتعجب علي كثيرا من إجابة العم كمال مدركا أنه لم يرها بالفعل منذ أن كان طفلا حتى ضاعت ملامحها من ذاكرته، شعر بالخجل الشديد من نفسه في تلك اللحظة فقرر ألا يعترف للعم كمال بذلك:

- اه.. ما أنا بهزر.

ضحك ضحكة مزيفة حتى يقنع الآخر بأنها كانت مجرد مزحة ولكنها قوبلت بالتصديق من العم كمال الذي عادت الابتسامة إلى وجهه قائلا:

- أبوك وصاني أحطلك الصورة دي على مكتبك عشان تفضل فاكرها على طول.. وعشان كمان تبقى عارف إنه محبش واحدة تانية من بعدها.. الله يرحمها.

أنهى علي حديثه مع العم كمال ثم طلب منه الإذن ليعود إلى المنزل ويأخذ قسطا من الراحة، وافق العم كمال على الفور مؤكدا له أنه قد أنهى أول أيامه التدريبية وأن بإمكانه الرحيل وقتما يشاء، خرج من الشركة بخطوات سريعة ثم استقل إحدى سيارات الأجرة وعاد إلى المنزل في تمام الثانية ظهرا، بدأ بخلع ملابسه بداية من طريقه إلى غرفة النوم متجاهلا أن يراه أحد الخادمين ثم وصل إلى غرفة النوم ليلقي بجثته على الفراش ويذهب لموعد مع أحلامه الفنتازية.

استيقظ علي في تمام التاسعة والنصف مساء، ترك فراشه ثم خرج من الغرفة ماضيًا بخطوات غير متزنة نحو الطابق السفلي، لم يلتق في طريقه بأي من سكان المنزل مما جعله يظن أن الوقت قد تأخر وأن الجميع نائمون، وصل للطابق السفلي ليلحظ وجود كمية هائلة من بقايا الطعام على طاولة العشاء وكأن حفل عشاء كبير قد انتهى للتو قبل مجيئه.. لم يبد الكثير من الاهتمام وخرج ليجلس بالحديقة حيث مكانه المفضل منذ أن جاء، وقف للحظة وتردد حيث وجد نغم جالسة بذات قبلته تنفخ سيجارة على مقعد مطل على حمام السباحة، هدأ من سرعة أقدامه ثم أكمل خطواته حتى اقترب منها، شعرت به آت من خلفها فالتفتت سريعا ورأته، لم تتردد للحظة حتى تركت مقعدها مغادرة إلى الداخل بخطوات سريعة لتتجنب الحديث معه.

- آنسة نغم! استني بس.

توقفت نغم وعادت لتجيب نداءه بغير إرادتها:

- نعم؟

- أنا كنت عايز أسألك بس.. هو احنا كان عندنا ضيوف؟

- أيوة، محمود بيه كان عازم ناس على العشاء.

- ناس مين؟

- ناس من الشغل.. أي اسئلة تاني؟

قالت تلك الكلمات ثم أسرعت في العودة مرة أخرى فشدها علي من يمناها قائلا:

- استني بس انتي مستعجلة كدا ليه.. بصي أنا بصراحة عايز أتكلم معاكي شوية، ممكن؟

- ميتهيألليش إن في أي كلام ممكن يدور بيني وبين حضرتك.

- حضرتي إيه بس.. أنا آسف، عارف إن الأسف مش هيعوضك عن الكلام السم اللي قولته امبارح بس حطي نفسك مكاني.. واحدة معرفهاش داخلة عليا بليل تزعق فيا وتتهمني إني جاي أسرق أبويا وأمشي.. كنتي عايزاني أقولك إيه يعني؟

نظرت نغم إلى الأسفل في بداية رضوخ لاعتذاره فأكمل حديثه قائلا:

- ولعلمك انتي كمان المفروض تعتذريلي.

- نعم؟!

- أيوة.. انتي جيتي لحد عندي اتهمتيني وانتي متعرفيش حاجة، فا المفروض إني زي ما اعتذرتلك تعتذريلي.. صح ولا أنا غلطان؟

- وهو مين قالك إني غيرت رأيي أصلا عشان أعتذر؟

- ما انتي هتغيريه.

- دا على أساس إيه يعني؟

- على أساس إني مش عايز أتخانق تاني ومعنديش استعداد أعيش في بيت واحد مع واحدة شايفاني كدا، فا سيادتك بعد إذنك هتتفضلي تقعدي وهفهمك كل حاجة من الأول وبعدها انتي حرة تشوفي الأمور زي ما انتي عايزة.. ممكن؟

- أنا معنديش وقت لشغل العيال دا.. حضرتك ممكن تعتبر إن محصلش حاجة ومفيش داعي ولا تفهمني ولا أفهمك.

- إيه دا هو عم كمال مقالكيش ولا إيه؟

- مقاليش إيه بظبط؟

- مقالكيش إني في خلال كام يوم هبقى من رؤسائك في الشغل والمفروض تسمعي كلامي؟ اتفضلي اقعدي.

جلست وعلى وجهها ابتسامة سخرية تخفي وراءها إعجابا بثقته، ذهب ليحضر مقعدا آخرا ثم عاد وجلس بجانبها:

- بصي بقى.. قبل أي حاجة عايزك تفهمي إني مكنتش حابب أتكلم في الموضوع دا وإن السبب الوحيد اللي هيخليني أتكلم فيه هو إني مش عايز أقضي الفترة اللي قاعدها هنا في وسط نفسيات وناس شايفاني غلط.. أنا مش متعود على كدا ومبعرفش أعيش بالطريقة دي.. كفاية عليا الهبل اللي حصل النهاردة في الشركة.. أنا جيت هنا عشان أعمل اللي ديني بيؤمرني بيه وأود أبويا في الكام سنة اللي فاضلينله قبل ما

يموت.. يعني مش عشان أورثه بالحياة ولا عشان ألاقي شغلانة عالجاهز زي ما انتي فاكرة.. وبمناسبة أبويا صحيح، اللي متعرفيهوش إن أبويا اللي انتي مستقتلة عليه دا راميني وميعرفش عني حاجة من وأنا عندي ٧ سنين ويمكن من قبلها بشوية كمان.

قاطعت نغم حديثه قائلة:

- أولا أنا مش مستقتلة على حد وخلي بالك من ألفاظك وانت بتتكلم معايا.. ثانيا مين قالك إني مش عارفة؟ محمود بيه حكالي على كل حاجة.. حكالي إنكوا مبتتكلموش غير كل فين وفين وإنكوا متعرفوش عن بعض حاجة من سنين، وهي دي المشكلة.. بتقول إنه راميك من وانت عيل صغير مع إنك لو عكستها وجيت تفكر من ناحية تانية هتلاقي إن انت اللي راميه وإن هو اللي كبر ومحتاجك جنبه مش العكس.. ساعتها مش هتلاقي أي سبب واحد يفسر وجودك هنا ودلوقتي بالذات غير اللي أنا قولته امبارح واللي انت دلوقتي عايزني أعتذر عنه.

- طيب بما إنه حكالك بقى.. يا ترى حكالك كمان الحكاية بدأت ازاي؟

- مش فاهمة.

- يعني تفتكري بذكائك إن عيل عنده ٧ سنين هيقرر من دماغه إنه يسيب أبوه ويقضي بقية حياته لوحده؟

ممكن تفهمني عايز تقول إيه وبلاش الطريقة دي؟

- أنا مش عايز أقول حاجة.. أنا بس عايز أفهمك إن الأمور مش زي ما انتي فاهمة، مش بقول إن أبويا وحش ولا بحاول أحسرك على عمر ضيعتيه جنب راجل ميستاهلش، لا بالعكس أبويا راجل طيب.. بس

أصل الحكاية مش لازم يبقى فيها ملاك وشيطان، مش لازم يبقى فينا واحد بيدوس على رقبة التاني طول القصة والتاني كل اللي عليه إنه بيقوم يصلي ركعتين ويتحسبن، مش لازم كل واحد فينا يكون محجوز باسمه مكان في الجنة أو في النار من أول اليوم لحد آخره.. كلنا جوانا الحلو والوحش، حتى أبسط المواقف بين أي اتنين صعب يبقى فيها واحد منهم على حق بنسبة ١٠٠%.. يمكن الميزان بيننا مش معدول بس فرق الحمولة مش كبير أوي كدا.. احنا مش في فيلم أبيض وأسود.

تاهت نغم في رحلة لاستيعاب كلماته، تبدلت نظرتها من نظرة اتهام مثبتة في أعين الأخير لنظرة تجمع بين الحيرة والاقتناع نحو اللا شيء.. أكمل علي حديثه قائلا:

- أنا كدا قولت اللي عندي وانتي حرة تعملي اللي يريحك.. أتمنى تقبلي أسفي وأوعدك إن من هنا ورايح لو حصل أي تعامل بيننا هعتبرك أختي الكبيرة.. بعد إذنك.

غادر علي وتركها حائرة بين أفكارها والأسئلة التي تتراكم في رأسها واحدا تلو الآخر، فهل هذا الشاب على حق أم هذه إحدى ألاعيبه التي نجح أن ينال بها رضا الوالد مجددا؟ فإن كان على حق.. كيف يتوجب علي أن أعتذر له؟ وإن كان يكذب فكيف أكشف كذبه أمام الجميع؟ والأهم من ذلك.. كيف يجب علي أن أعرف إن كان صادقا أو كاذبا من الأساس؟ كان ذلك أهم ما جاء في ذهنها من أسئلة تعجيزية في ذاك الحين، بعد تفكير طويل لم تعرف للحقيقة إلا سبيل واحد.. "علي".

الاثنين ١٨ يوليو ٢٠١٦
الساعة السادسة صباحا بتوقيت الإمارات.

استيقظ علي مبكرا على صوت ضجيج آت من الطابق السفلي، ترك فراشه وذهب ليتفقد ما يحدث بالأسفل حتى نسي أن يرتدي قميصه، وصل للطابق السفلي ليجد والده يمضي بنشاط نحو الحديقة ومعه العديد من أطباق الطعام.

- علي.. حماتك بتحبك، كنت لسه هطلع أصحيك.

- انت بتعمل إيه يا بابا؟

- هكون بعمل إيه يعني؟ عمك كمال مجاش النهاردة والشغالين واخدين أجازة فا قولت أقوم أحضر الفطار بنفسي.

- بس كدا غلط يا بابا انت المفروض ترتاح قبل الشغل.. كنت صحيني وأنا أقوم أعملك اللي انت عايزه.

- ولا غلط ولا بتاع بس تعالى ساعدني نحط الاطباق.

مضى كلاهما نحو طاولة الإفطار بالحديقة محملين بأطباق الطعام حتى أتموا تحضير المائدة، جلس الوالد وبدأ بتناول طعامه بينما مد علي يده وسحب سيجارة من علبة والده الملقاة على الطاولة ووقف يدخنها على بعد أمتار قليلة فنظر إليه الأخير بتعجب وقال:

- إيه يابني مش هتفطر؟

- مش جعان.. كل انت بالهنا والشفا.

- لا مينفعش.. سيب البتاعة اللي في إيدك دي وتعالى افطر معايا.. هو أنا عامل الأكل دا كله لأمي الله يرحمها؟

- مليش نفس والله يا بابا.. معلش كل انت وأنا هبقى آكل أي حاجة في السريع قبل ما نروح الشغل.

رضخ محمود لرغبة ولده العنيد قائلا:

- ماشي.. على راحتك.

- هو صحيح يا بابا مين اللي كان عندنا امبارح؟

- لا متشغلش بالك.. دا واحد صاحبي ومراته كانوا مسافرين ورجعوا فا قولت أعزمهم على العشاء.

- غريبة.

- هو إيه اللي غريب بالظبط؟

- لا ولا حاجة.

- إنما قولي انت صحيح.. شوفتك امبارح من شباك الأوضة وانت قاعد مع نغم هنا بتتكلموا، كنتوا بتتكلموا في إيه؟

- لا دي كانت بتسألني عن رأيي في الشغل وكدا بس.

- اه.. بس كان شكلكوا زي ما تكونوا بتتخانقوا يعني.

- لا طبعا يا بابا.. نتخانق ليه يعني هو أنا أعرفها؟

- واد انت.. انت عارف إني أكتر واحد أتمنالك الخير في الدنيا دي وإن أنا أول واحد جيت كلمتك عنها، بس اوعى أعرف في يوم من الأيام ولو بالصدفة إنك زعلتها.. انت متعرفش نغم دي عند أبوك تساوي إيه.

- للدرجادي؟

- وأكتر كمان.. انت لو تعرف البنت دي شافت إيه وعملت إيه مع أبوك عمرك ما هتفكر ولو للحظة إنك تيجي عليها.

- ليه يعني؟

- البنت دي جاتلي من ييجي عشر سنين كدا تقدم على شغل في الشركة وهي يا حبة عيني مكملتش لسه ٢٠ سنة، مكانش معاها بقى ولا شهادات ولا مؤهلات ولا بتاع.. كل اللي عرفته عنها إنها مصرية وعايزة أي شغلانة حتى لو هتغسل أطباق، ساعتها يابني بيني وبينك دورتها في دماغي وقولت إيه اللي هيجيب بت في السن دا هنا تتلطم كدا وتدور على شغل في كل حتة إلا لو كانت محتاجة.. قولت لعمك كمال يدخلهالي المكتب وفضلنا نتكلم معاها لحد ما عرفنا حكايتها من طأطأ لسلام عليكم، طلعت بنت ناس وجاية من مصر هربانة على هنا عشان تدور على شغل وتشيل نفسها، أبوها مات وهي صغيرة وأمها راحت اتجوزت راجل مفتري وخلفت منه عيال جاحدة متتخيرش عنه.. بعدها ماتت هي روخرة وسابتها تتبهدل من جوزها وعياله، استغلوا إن مبقالهاش ضهر وخدوا منها كل اللي حيلتها وبرطعوا في شقتها لحد ما طفشوها ووصلوها إنها تسيب تعليمها ودنيتها في مصر وتيجي على هنا تتحوج للي يسوى واللي ميسواش.. بس يا سيدي، فا البت صعبت عليا وشغلتها عندي في الأول ممرضة تديني الحقن وتظبطلي مواعيد

الأدوية والكلام دا كله.. مع الوقت لقيتها لهلوبة وبتعرف إنجليزي كويس فا سألتها وعرفت إنها كانت في جامعة خاصة قبل ما تيجي، شوية شوية ولقيتها بدأت تذاكر وتاخد شهادات من عالنت تعوض بيهم اللي فاتها في التعليم، فا قولت البت ييجي منها وعينتها سكرتيرتي في الشغل، ومن ساعتها وهي عايشة معانا هنا بتاخد بالها من صحتي وفي الشركة بتاخد بالها من الشغل لحد ما بقيت أعتبرها زي بنتي، لما لقيتها كبرت وبقت في سن جواز حاولت أقنعها تروح تشوف دنيتها وتتجوز بس كنت كل ما أفاتحها في الموضوع دا تضايق وتحلف يمين إنها مش هتسيبني مهما حصل.. عرفت بقى ليه نغم تساوي عندي كتير؟

ابتسم علي ثم قال:

- ياه.. عموما متقلقش، نغم زي أختي وهشيلها في عيني.. بس زي أختي ها؟.. مش حاجة تانية.

- ماشي ياخويا.

- المهم صحيح أنا عايز أسألك عن حاجة

- اسأل.

- متعرفش مكان أشتري منه كمانجة هنا؟

- نعم؟

الفصل الرابع

١٦ شهر

" الوقت.. الوقت هو أهم حاجة في الدنيا، يمكن اللي بيتكلم دا يكون أكتر واحد ضيع وقت من عمره، لكن لما بتخسر حاجات كتير كنت تستحق تاخدها من الدنيا لمجرد إنك غفلت عن حركة عقارب الساعة بتعرف غصب عنك قيمة الوقت، ولما بتعرف قيمة الوقت بجد بيبقى عندك استعداد تضحي بحاجات كتير بتحبها في سبيل إنك متتأخرش تاني.. النهاردة ١١ نوفمبر ٢٠١٧، أيوة أنا هنا بقالي ١٦ شهر تقريبا.. آخر تسجيل سجلته كان بتاريخا ١٦ يوليو السنة اللي فاتت.. لسه فاكر اليوم دا كويس، كان تاني يوم ليا هنا.. عم كمال خدني يفرجني على البلد بالنهار ورجعت البيت بليل هلكان وعايز أنام.. دوست على نفسي شوية عشان أقعد أسجل اللي حصل في اليوم وأول ما خلصت تسجيل لقيت نغم داخلة عليا بزعابيبها واتخانقنا، مش عارف ليه مسجلتش حاجة من ساعتها.. يمكن عشان مكانش عندي وقت؟ أو يمكن محصلش من ساعتها حاجة تستحق إنها تتحكي.. اللي حصل باختصار إني اتعينت في الحسابات وشربت صنعة الشغل زي ما بيقولوا، اتصالحت مع نغم ومع الوقت بقت صاحبتي وأقرب حد ليا هنا، أبويا عجز أكتر وصحته اتدهورت وبرغم كدا لسه بيعند ومش عايز يروح لدكتور.. وعم كمال ما شاء الله لسه زي ما هو بيقوم من نومه الفجر يقلي فول وفلافل وييجي يصدعني بقصة كفاحه هو وأبويا طول النهار.. الحياة علمتني قيمة الوقت، من ساعة ما بصحى لحد ما بنام مبلحقش أقعد مع نفسي ١٠ دقايق على بعض.. مقدرش أقول إن الحياة دي وحشة على فكرة بالعكس.. الحياة دي بتلهيني عن أفكار سوداوية كتير ممكن تستفرد بيا لو قعدت مع نفسي، بتنسيني ناس كتير وحشوني وعايز أشوفهم، لكن للأسف بتنسيني نفسي معاهم.. في وسط زحمة حياة زي اللي أنا عايشها بيبقى صعب على أي بني آدم إنه يفضل محافظ على نفسه وشايل جواه الحاجات اللي بيحبها، غصب عنك بتتحول مع الوقت لآلة بتصحى من

النوم تنفذ المطلوب منها وترجع تنام تاني.. خصوصا لما تبقى واحد زيي مبتعرفش تكون صداقات ولا تنظم وقتك، أنا حتى دلوقتي متأخر ولازم أقوم ألبس عشان أنزل آخد أبويا ونروح الشغل، مش عارف التسجيل الجاي هيكون امتى وهحكي فيه عن إيه.. ومين عارف؟ يمكن مع الوقت أنسى إني كنت بسجل مذكراتي ومايكونش في تسجيل جاي أساسا"

في تمام التاسعة صباحا كان قد انتهى علي من ارتداء ملابسه استعدادا للذهاب للشركة بعد أن قام بتسجيل أحدث فصول مذكراته، خرج من غرفته ماضيا نحو الطابق السفلي بخطوات سريعة حيث أدرك تخلفه عن موعد العمل، عند وصوله للطابق السفلي تفاجأ بنغم جالسة ببذلة العمل تتناول وجبة فطور وأمامها جهاز "لاب توب" حيث لا يعتاد على تواجدها في أرجاء المنزل في ذلك الحين.

- مش ناوية تبطلي حش بقى؟

- إخص عليك.. مستكتر على نغومة ساندويتشين بيض بالبسطرمة؟

- لا يا ستي بالهنا والشفا.. إيه اللي مقعدك هنا دلوقتي؟ مش المفروض تبقي في الشركة؟

- ما صدقت عمو كمال راح بدري النهاردة وفتح للموظفين فا قولت أناملي ساعة زيادة وأصحى أفطر كدا وأروق دماغي زي البني آدمين.

- طب يلا سيبي اللي في إيدك دا وقومي أما نروح الشركة بدل ما عمو كمال بتاعك يفشخنا.

- مش هتفطر طيب؟

- لا هبقى أفطر هناك.

قامت نغم لتلحق به مسرعة وقالت:

- بقولك إيه خليك جدع وخدني على طريقك بقى أحسن مفياش حيل أسوق النهاردة خالص.

- أومال السواق فين؟

- راح مع محمود بيه الشركة من بدري.. متخافش هبقى بنت مؤدبة ومش هعمل دوشة والله.

- ماشي يا ستي أمري لله.

صعد علي إلى مقعد السائق بينما اتخذت نغم مكانًا على المقعد المجاور له، مرت دقائق حتى خرجوا من حدود الفيلا واتخذوا طريقهم إلى الشركة، قطع علي هدوء الرحلة بقوله:

- وانتي عم كمال وبابا كانو سايبينك معايا في البيت كدا لوحدك عادي؟ مش خايفين أتحمرش بيكي بخدودك دي؟

- تتحمرش بيا إيه يا عيل يا أبو شخة انت!!

- يا بنتي احترميني بقى دا أنا مديرك.

- مديري إيه انت صدقت نفسك انت كمان؟

رسم علي ملامح الحزن الطفولية على وجهه بسخرية سائلا:

- ليه يعني مشبهش؟

ابتسمت نغم ونظرت في عيناه ثم قالت:

- لا تشبه طبعا.. ماشي يا عم مديري مديري.

ابتسم علي لوهلة ثم قال:

- طب بقولك إيه ما تيجي نفكس شغل النهاردة وآخدك أعزمك على بليلة.. قفشتلك من كام يوم راجل سوري فاتح محل هنا بيعمل بليلة إنما إيه.. هترجعك مصر تاني.

- تصدق والله نفسي فيها بقالي كام يوم؟ طب ما تخلي الطلعة دي بعد الشغل أحسن؟

- خلاص اتفقنا.. على الله بس مسألش عم كمال عليكي بعد الشغل ويقولي إنك روحتي تنامي زي كل مرة.

- لا لا متخافش.

مع دقة العاشرة إلا ربع وبعد أن تخلفوا عن موعد عملهم لقرابة الساعة وصل علي ونغم إلى الشركة ليجدوا العم كمال في انتظارهم وعلى وجهه ملامح انزعاج.

- دا كلام برضه يا ولاد؟ كل دا تأخير؟

- عادي يا عم كمال بقى ما احنا كل يوم بنيجي في مواعيدنا.. عديها المرادي معلش.

- يابني هي المشكلة فيا؟ المشكلة في أبوك اللي بقاله ساعة بيسألني عليكوا ومش عارف أقوله إيه.

- والله يا عمو أنا فضلت أقوله هنتأخر هنتأخر وهو قاعد بيفطر ولاطعني جنبه لحد ما الساعة بقت ٩.

نظر علي إلى نغم وعلى وجهه ابتسامة سخرية قائلا:

- لا والنبي؟ دا أنا برضه ها؟

- أيوة والله يا عمو.. وكمان قعد يقولي سيبك من الشغل وتعالي نروح ناكل بليلة.

- بليلة؟! بليلة إيه يابني؟

- خلاص بقى يا عم كمال عديها.

- طب يلا.. يلا اطلعوا على مكاتبكوا وشوفولكوا أي حجة تقولوها لمحمود لحسن والله لو سمع الكلام الغريب اللي بتقولوه دا ليسود عيشتي قبلكم.

في تمام السادسة والنصف مساء كان قد أنهى علي عمله وذهب لينتظر نغم في جراج الشركة حتى تتمم على رحيل جميع الموظفين وتلحق به، طال انتظاره بعض الشيء فأخرج من جيبه علبة سجائر وقام بإشعال سيجارة، لحظات قليلة وسمع صوتا آت من خلفه ينادي:

- يا بيه.. يا بيه.

التفت لمصدر الصوت ليجد رجلا مسنا ذو وجه مغطى بالتجاعيد ولحية بيضاء طويلة، يمكث على الأرض مرتديًا بدلة عمال نظافة الشركة.

- بتكلمني أنا؟

- وهو فيه غيرنا في المكان يا بيه؟

- أؤمر.

- التدخين ممنوع هنا سعادتك.

- بس كدا؟

ألقى علي بسيجارته على الأرض ودهسها بقدمه ثم ابتعد بنظره عن الرجل وأخرج هاتفه ليحاول الاتصال بنغم.

- هترجع.

التفت علي للرجل مرة أخرى عند سماعه تلك الكلمة وسأل بتعجب:

- نعم؟!

- هترجع تاني.

- هرجع فين مش فاهم؟

- استحمل خيانة الشمس ١٧٣ مرة.. وهترجع يا علي.

صمت علي للحظات في محاولة لاستيعاب كلماته.. ماذا يقول ذلك العجوز المخرف؟ ماذا يعني بتلك الكلمات المبهمة؟ والأهم من ذلك.. كيف عرف اسمي؟ وصلت نغم وقطعت حبل أفكاره بقولها:

- معلش اتأخرت عليك.

- لالا.. ولا يهمك.

- طب إيه.. يلا بينا ولا غيرت رأيك؟

- لا غيرت رأيي إيه.. يلا بينا.

بعد قرابة النصف ساعة وصل الصديقين إلى عربة مطرفة تقدم بعض أنواع الأكلات المصرية والشامية، قضى علي الطريق يفكر في كلمات ذلك العجوز ويحاول تفسير معانيها بينما شعرت نغم أنه ليس على ما يرام فاعترضت تفكيره وسألت:

- علي انت كويس؟

- اه أنا تمام.

- أومال مالك؟ من ساعة ما خلصنا شغل وانت تايه كدا ومش مركز.. في حاجة حصلت؟

- بقولك إيه هو انتي تعرفي الراجل اللي كنت واقف بتكلم معاه دا؟

- راجل مين؟

- الراجل العجوز دا اللي شغال في الجراج.

- لا مخدتش بالي منه.. بس اشمعنا يعني؟

- لا.. ولا حاجة.

- طب بقولك إيه أنا بصراحة عايزة أسألك سؤال كدا من زمان وكنت خايفة تقول إني بتطفل عليك.

- لا يا ستي اسألي.

ابتسمت نغم لوهلة ثم سألت:

- فاكر يوم ما اتخانقنا؟

- أنهي خناقة فيهم يا روحي احنا اتخانقنا كتير؟

- الخناقة اللي اتخانقناها أول ما جيت.. لما كنت قاعد علي البيسين و...

قاطعها علي قائلا:

- أيوة أيوة فاكر.. مالها؟

- اليوم دا انت كنت قاعد بتسجل حاجة على الموبايل وأنا دخلت عليك.

- فا طبعا عايزة تعرفي كنت بسجل إيه مش كدا؟

ابتسمت نغم ابتسامة خجل وقالت:

- لا أنا مش غبية أوي كدا.. كان باين إنك بتسجل مذكراتك.

- لا ما شاء الله عليكي سابقة سنك.. فا إيه بقى؟

ترددت نغم للحظة ثم قالت:

- عايزة أعرف إيه حكاية ليلى ومريم اللي كنت بتتكلم عنهم دول.. وكان في واحد كمان كدا بس مش فاكرة اسمه.

- اه طبعا ما انتي مش هتفتكري غير أسامي البنات بس.

قامت بلكمه لكمة واهنة في كتفه وقالت:

- بطل رخامة.

- كان اسمه خالد يا حبيبتي خالد.

- اااييوة خالد.

- دي حكاية طويلة أوي واحنا عندنا شغل الصبح.

امتعض وجهها ثم قالت:

- إيه دا يعني بعد كل دا مش هتحكيلي؟

- خلاص متقلبيش وشك كدا هحكيلك.. بس بشرط.

- اشرط.

- تلهي عمك كمال عني كام يوم كدا ونبي.

روى لها علي القصة بأكملها منذ أن عرف خالد حتى وصل للإمارات، لم تشعر نغم بمرور الوقت تلك الليلة حيث إنها ظلت تنصت له بهدوء تام ومتعة شديدة كطفلة تنصت لوالدتها بينما تقص عليها حكاية قبل النوم، رأت اليأس يسيطر على لغة جسده عندما تحدث عن نهاية علاقته بخالد، استشعرت الحزن في نبرة صوته عندما حكى عن حبه لمريم.. ولحظت الشغف البارز في عيناه عندما جاء الحديث عن سحر ليلى، أرادت أن تقاطعه أكثر من مرة لتلومه على أشياء قد فعلها ولكنها فضلت التزام الصمت حيث إن إلقاء اللوم عليه الآن لن يغير فيما حدث شيئا بل وإنه ربما يفقدها ثقته التي نالتها بصعوبة.

مرت قرابة الثلاث ساعات حتى انتهى علي من الحكي، نظر في ساعته ليجدها التاسعة والنصف مساء فتفاجأ وقال:

- ياه.. دا الساعة بقت ٩ ونص.

نظرت الأخرى في ساعتها وعلقت:

- إيه دا أنا محستش بالوقت.

- يلا نروح.

لحظات من الهدوء التام في بداية طريقهم إلى العودة قاطعتها نغم بندائها:

- علي.

التفت علي لها مجيبا:

- ممم؟

نظرت نغم في عينيه للحظة بتعاطف ثم قالت:

- أنا آسفة.

****

في تمام العاشرة والربع مساء وصل علي برفقة نغم إلى المنزل، قضت نغم طيلة الطريق في محاولة لإخراج علي من الحالة المزاجية السيئة التي تسببت له فيها دون أن تعلم، حاولت آخراجه من تلك الحالة بالمزاح وإلقاء النكات السخيفة ومن ثم تشغيل موسيقى المهرجانات الشعبية على كاسيت السيارة حتى بدأ علي بالضحك والابتسام ليشعرها أنها قد نجحت وأن كل شيء قد أصبح على ما يرام.

عند وصولهم للمنزل تفاجأوا بالوالد جالس يحتسي القهوة في حديقة الفيلا، يرتدي نظارة قرائة وفي يده كتاب "معركة النهر" ل"وينستون تشرشل"، وبرغم أنها ليست من عادات محمود الشامي أن يبقى مستيقظا حتى ذاك الوقت من الليل ولكنه كان يبدو في غاية الاستمتاع والتمعن وكأنه لا يود أن يذهب للنوم.

- إيه يا ولاد اتأخرتوا كدا ليه؟ مش عندكو شغل الصبح؟

- معلش بقى يا بابا خرجنا نغير جو شوية بعد الشغل والوقت خدنا.. قولي انت إيه اللي مصحيك لحد دلوقتي؟

- مفيش كنت زهقان فا قولت أطلع أشم هوا شوية وأقرالي كتاب ولا حاجة.

- حضرتك اتعشيت طيب ولا تحب أحضرلك حاجة تاكلها؟

- أنا أكلت الحمد لله.. اطلعي نامي انتي يا نغم لو عايزة.

- طيب هطلع أنام أنا كمان بقى.. تصبح على خير.

- لأ اقعد انت يا علي عايزك.

- طيب تصبحوا على خير.

- وانتي من أهله يا حبيبتي.

ذهبت نغم ثم سأل علي والده بقلق:

- إيه يا بابا فيه حاجة ولا إيه؟

- اقعد يا علي.

جلس علي بينما خلع الوالد نظارته ووضع الكتاب على الطاولة، ساد الهدوء لبضعة لحظات ثم نظر محمود إلى ولده وسأل مبتسما:

- عارف يا علي انت بتفكرني بمين؟

- بمين؟

- بتفكرني بأمك الله يرحمها.. كانت زيك كدا بظبط، تفضل كاتمة جواها الهم والزعل من ناحية أي حد مهما كان، مكانتش تحب أبدا تقول اللي جواها دغري ولا تخفف عن نفسها على حساب حد.. فضلت تكتم تكتم لحد ما ماتت من غير ما حد يسمعلها صوت، كان نفسي تفضل عايشة لحد دلوقتي عشان أعوضها عن أيام البهدلة اللي شافتها معايا زمان.

- الله يرحمها.. بس هو مين اللي قالك إني كاتم حاجة جوايا؟

صمت الوالد للحظات ثم أجاب:

- كل بني آدم مهما حاول بيجيله وقت وبيغلط يا علي.. لكن أسوأ حاجة ممكن تحصلك يابني هي إنك متلاقيش فرصة تصلح فيها الغلط دا.

- مش فاهم قصدك؟

- قصدي إني عارفك كويس يابني.. وعارف إنك لسه مش مسامحني على اللي عملته زمان.

قاطع علي والده قائلا:

- يا بابا اللي حصل زمان دا أنا نسيته ورميته ورا ضهري وانت أكتر واحد عارف دا.. بدليل إني سيبت دنيتي في مصر وجيت عشان أعيش معاك هنا وأكون تحت طوعك.

- مش معنى إنك جيت يا علي إنك رميت اللي حصل ورا ضهرك ونسيته زي ما بتقول.. أنا عارف يابني إنك ياما احتاجتني جنبك وملقتنيش، عارف إني غلطت في حقك وحق والدتك الله يرحمها زمان.. ومش بعيد يابني تكون عيشت عمرك كله وانت شايفني شيطان بقرون.. ودا حقك مقدرش أقول حاجة، عشان كدا عايزك تسامحني يا علي.. أبوك مبقاش فاضله في الدنيا كتير يابني.. مش عايز أموت وابني الحيلة اللي فاضلي من ريحة أحلى ست في الدنيا زعلان مني.

- إيه يا بابا اللي بتقوله دا بس بعد الشر عليك.

- الموت عمره ما كان شر يا حبيبي.. الشر الحقيقي هو إني أموت وانت مش مسامحني.

- طب والله العظيم يا بابا أنا مسامحك ومش شايلك أي حاجة جوايا.. أقولك إيه تاني بقى عشان تصدقني؟

ابتسم الوالد ابتسامة سخرية ثم سأل:

- بجد يا علي؟

ترك علي كرسيه قائلا:

- بابا.. أنا طالع أنام!

- خلاص ياخويا متتحمقش أوي كدا اقعد.

جلس علي مرة أخرى بينما قال والده:

- عموما أنا كنت عايزك في موضوع تاني.

- موضوع إيه؟

- فاكر السنة اللي فاتت لما كنت عازم ناس على العشاء وسألتني عنهم قولتلك إنه كان واحد صاحبي ومراته؟

- اه لما كنت بتحور عليا.. فاكر فاكر.

تبدلت تعابير وجه الوالد وارتفعت نبرة صوته بعض الشيء قائلا:

- إيه يا ولد بتحور والكلام قليل الأدب اللي بتقوله دا.. عيب أنا مش بلعب معاك في الشارع!

- يعني هو أنا اللي لسه بلعب في الشارع أصلا؟ انجز يا بابا!

- لا إله إلا الله.. اليوم دا أنا كنت فعلا عازم ناس على العشاء، بس كنت عازم المحامين بتوعي.

قاطع حديثه علي سائلا:

- إيه دا عازم المحامين بتوعك ليه مش فاهم؟

- ما انت لو تسيبني أكمل كلام!

- آسف يا بابا اتفضل.

- في اليوم دا أنا كتبت تلت أملاكي باسم نغم.. عارف إن في الشرع والقانون كل فلوسي وأملاكي من حقك انت لوحدك، بس أنا يابني مش هسمح لشرع ولا لقانون إنهم يرموا البنت دي في الشارع تاني.. أنا عارف إنك حنين وقلبك طيب يا علي ومش هتزعل إني عملت كدا.. وعشان كدا مترددتش لحظة إني أقولك كدا على حياة عيني.

- ولو عايز تكتبلها كل أملاكك كمان يا بابا اعمل كدا، دي فلوسك وانت حر فيها، وبصراحة نغم مش خسارة فيها أي حاجة.. بس لو تسمحلي أنا عايز أسألك سؤال.

- اتفضل يا حبيبي.

- هو انت فاكر إني كنت هسيبها تترمي في الشارع تاني لو مكنتش عملت كدا؟

- بالعكس يابني.. أنا عارف إنك جدع ومعدنك راجل وإن عمرك ما كنت هتسيبها تتبهدل أبدا، بس وقتها يابني كان باين إنكم مش طايقين بعض وكنت خايف تفهمها غلط ومتديهاش حقها لو حصلي حاجة،

وعلى فكرة هي متعرفش أي حاجة عن الموضوع دا.. نغم شالتني كتير يابني، ومش عايزها بعد ما أموت تتلطم وترجع تتحوج تاني للي يسوى واللي ميسواش.

- عموما أنا مش عايزك تقلق خالص يا حاج.. نغم في عنيا الاتنين ولو احتاجت أكتر من اللي انت كتبته باسمها كمان هديها كل اللي هي عايزاه، انت بس سيبك من الموت والأملاك والكلام الفاضي دا دلوقتي.. ربنا يخليك لينا.

ارتسمت البسمة على وجه محمود الشامي، فقد شعر أخيرا أنه يحصد بذرة صالحة زرعها في دنياه، حتى وإن أهملها لسنوات طويلة.

- ألف حمد وشكر ليك يارب.. ياه يا علي، لو قعدت أوصفلك من النهاردة للسنة الجاية انت فرحت أبوك وريحته قد إيه مش هعرف أوفيك حقك.. أنا كدا ممكن أموت وأنا مرتاح.

- يا حاج ما قولنا بلاش سيرة الموت دي بقى الله! وبعدين ما انت لسه شباب وصحتك زي الفل أهو ما شاء الله.

- الحمد لله.. بس إيه حكاية حاج اللي عمال تقولها دي يابني؟

- إيه دا انت محجتش قبل كدا؟

- لأ.

- لا يا راجل؟.. محجتش قبل كدا؟

ابتسم الوالد ثم هز رأسه مجيبا بالسلب:

- يا راجل.. يا راجل يعني فيلا وطقم عربيات وحراسة ومش عارف تروح مشوار ساعتين بالطيارة؟

تبادل كلاهما الضحك لبضعة ثوان ثم قال الوالد مبتسما:

- اطلع نام ياض.

ترك علي كرسيه مبتسما وذهب لينام فناداه الوالد مجددا:

- علي.. في رقبتك ها.

- في عنيا.. تصبح على خير.

- وانت من أهله.

****

الأحد ١٢ نوفمبر ٢٠١٧

الساعة السابعة صباحا بتوقيت الإمارات.

استيقظ علي على رنين جرس هاتفه، تردد للحظات عندما وجد المتصل رقما غريبا ولكن توقيت الاتصال دفعه للرد حيث انتابه القلق.

- ألو مستر علي؟

- أيوة مين معايا؟

- أنا علاء موظف الأتش أر في الشركة... حضرتك فاكرني ؟

- أيوة يا علاء فاكرك.. خير في حاجة؟

- آسف لو صحيت حضرتك من النوم بس أنا وباقي الموظفين واقفين عند باب الشركة بقالنا ييجي نص ساعة ومحدش جه يفتحلنا.

- طب مجربتش تكلم آنسة نغم أو مستر كمال؟

- حاولنا نكلمهم أكتر من ١٠٠ مرة والله يا مستر علي، آنسة نغم مش بترد ومستر كمال موبايله مقفول.. حتى مستر محمود نفسه حاولنا نوصله لكن موبايله خارج نطاق الخدمة.

- غريبة.. طيب ادني ٥ دقايق كدا يا علاء وهكلمك.

- أوكيه يا فندم في انتظار مكالمة حضرتك.

ترك علي فراشه ثم أسرع في ارتداء ملابسه وذهب للبحث عن والده ونغم في أنحاء المنزل، استغرقت رحلة بحثه قرابة العشر دقائق حتى

فشل في العثور على أيا منهم وعلى أي مخلوق بشري في المنزل، حتى أفراد الأمن والحراسة لم يجد لهم أثرا على البوابات، أخرج هاتفه وحاول الاتصال بكلا من والده والعم كمال ونغم ولكنه فشل تماما كما توقع.. لحظات من الحيرة قطعها رنين جرس هاتفه مرة أخرى.

- مستر علي أنا آسف على الإزعاج والله بس الموظفين كلهم واقفين فوق راسي وعايزين يعرفوا في شغل النهاردة ولا يروحوا؟

- خليهم يروحوا يا علاء مفيش شغل النهاردة.. وروح انت كمان ارتاح.

- أوكيه تمام.. بس خير يا مستر علي هو في حاجة؟

- لا لا مفيش حاجة.. روحوا انتو بس.

- تمام يا مستر علي.. وآسف مرة تانية لو أزعجت حضرتك.

- ولا يهمك.

سباق سرعة بطيء يشغل عقارب الساعة ويزداد معه قلق الأخير شيئا فشيئا، يحاول مرارا وتكرارا الاتصال بأي من أضلاع مثلث الاختفاء ولكن دون فائدة تذكر.. فيستكمل دورانه الحائر في أرجاء المنزل كطفل قد ضل السبيل إلى والدته.. بعد مرور قرابة الساعتين وعندما كان يحاول علي الاتصال بنغم للمرة العشرين التقطت أذنه صوت رنين جرس هاتفها آت من الطابق العلوي، صعد على الفور إلى الطابق العلوي وذهب يبحث عن مصدر الصوت حتى وصل إلى غرفة والده ليجد هاتفها مدفون بين ملاءات السرير وفي مقدمة شاشته المضيئة كتب

بالخط العريض "٣٥ مكالمة فائتة" حاول علي أن يتمالك أعصابه في ذاك الحين واكتفى بابتسامة سخرية تمادت إلى ضحكة عريضة هزت أركان المنزل، خرج من غرفة أبيه بعد أن فقد الأمل في الوصول إليهم، ولكنه قد سمع رنين جرس هاتفه في تلك اللحظة.. تبدلت ملامحه وأسرع بالرد عندما رأى اسم المتصل على الشاشة.

- ألو.

- أيوة يا علي.

- إيه يا عم كمال انتو فين من الصبح! الموظفين كلموني من الشركة يقولولي إن محدش راح فتحلهم النهاردة وبحاول أتصل بيكو بقالي ساعتين انت وبابا موبايلاتكو مقفولة ونغم ناسية موبايلها هنا.

قاطع العم كمال آخر كلماته بنبرة صوت هادئة:

- مش وقته يا علي دلوقتي اسمعني.. البس هدومك وتعلالنا حالا على المستشفى الاستثماري اللي جنب الشركة.

ارتفعت نبرة صوت علي قائلا:

- إيه! مستشفى ليه هو إيه اللي حصل؟

- أبوك تعب مننا الصبح ونقلناه المستشفى.

- تعب حصله إيه يعني يا عم كمال ما تفهمني!

- العلم عند الله يابني.. بس الدكتور أصر إنه لازم بتنقل عناية مركزة.. وأدينا قاعدين مستنيين أي حد يطلع يفهمنا اللي بيحصل.

- إيه؟! العناية المركزة؟! طب أنا جاي حالا.

وصل علي إلى المستشفى في تمام التاسعة والنصف وبعد ربع ساعة فقط من مكالمة العم كمال له، سأل في مكتب الاستقبال عن اسم والده وأرشدته موظفة الاستقبال إلى الطابق السابع حيث قسم العناية المركزة، اتخذ المصعد الكهربائي وصعد على الفور إلى الطابق السابع وهو في غاية القلق والتوتر، عند وصوله وجد العم كمال جالسا على أحد مقاعد الانتظار واضعا رأسه في الأرض وبجانبه تقف نغم مستلقية بجسدها على الحائط مربعة ذراعيها.

- بابا فين يا عم كمال.

- أبوك بين أيادي ربنا يابني.. ادعيله.

- يعني إيه بين أيادي ربنا!

- الدكتور خرج من شوية قالنا إن حالته بتتدهور أكتر من الأول.. أبوك كان متشخص بسرطان في الرئة من فترة طويلة ومكانش بيحضر جلسات العلاج يابني.

- سرطان! وانت كنت عارف ومخبي يا كمال!

- وحياة ولادي يابني ما كنت أعرف حاجة.. هي بس صادفت إن الدكتور اللي كان مشخص حالة أبوك طلع صاحبه وشغال هنا في المستشفى، أول ما عرف إن أبوك هنا جه قابلنا وحكالنا اللي حصل.

****

- يا محمود مينفعش الاستهتار اللي انت فيه دا.. أنا متفهم وجهة نظرك بس اسمع كلامي وتعالى خد أول جلسة علاج وبعدها ابقى قرر إذا كنت هتتعالج ولا مش هتتعالج.. على الأقل عشان خاطر ابنك يا أخي!

- قولتلك قبل كدا مية مرة يا رأفت إن عندي أعيش سنة طبيعي ولا إني أعيش مليون سنة بعذاب الكيماوي.. وبعدين هو يعني العلاج هيعملي إيه؟ هيطول في عمري سنة ولا سنتين زيادة؟ طب وبعدين؟ هموت برضه.. يبقى أموت في سريري وفي وسط الناس اللي بحبهم وبيحبوني أحسن ما أموت لوحدي في أوضة مستشفى.

- يا أخي ليه التشاؤم دا! احنا اكتشفنا المرض في مرحلة مبكرة ولسه عندك فرصة كبيرة إن العلاج ينجح وتعيش باقي عمرك كله في وسط الناس اللي بتحبهم وبيحبوك.

- احنا هنضحك على بعض يا رأفت؟ هو فيه حد يا حبيبي بيشفى من سرطان الرئة؟ وحتى لو شفيت.. هعيش اللي باقي من عمري وأنا بعدي عليكو كل شهر عشان أعرف المرض رجعلي تاني ولا لسه؟

- عموما انت حر يا محمود.. اعمل اللي يريحك، بس خليك فاكر إن طريقة تفكيرك دي غلط ومش هتعيشك اللي باقي من عمرك بالسعادة اللي انت متخيلها.

- صدقني يا رأفت انت بالذات لو مكاني هتعمل نفس اللي أنا بعمله.. عشان انت أكتر واحد عارف إن السرطان لعنة مش بتسيب صاحبها، وعارف إن شغلتك.. سامحني يعني.. إنك تخفف عن المرضى وجعهم وتديهم أمل كداب لحد ما يقابلوا ربي الكريم.

- أنا لو مكانك عمري ما هفرط في حياتي بالطريقة دي.

****

لمعت الدموع في أعين علي كما هو المنظر في أعين نغم.. صمت للحظات ليستوعب ما سمعته اذانه ثم سأل بنبرة صوت تميل إلى البكاء:

- طب هو في أنهي أوضة من دول؟ أنا عايز أدخل له.

- للأسف مينفعش دلوقتي يابني.. الدكتور مانع الزيارة.

انفجر علي في العم كمال قائلا:

- يعني إيه مانع الزيارة! بقولك هدخلله يعني هدخله! وسع.

أزاح علي الأخير من أمامه بعنف لا يتناسب مع سنه ثم مشى بضعة خطوات حتى أوقفته نغم وقالت:

- علي ممكن تهدى لو سمحت؟ احنا زينا زيك على فكرة، زي ما...

قاطعها علي قائلا:

- إيه إيه إيه؟ زيكو زيي؟ هو انتي صدقتي إنك بنته بجد زي ما بيقولوا ولا إيه؟

لحظات من الصمت مرت على نغم وهي تنظر في أعين الأخير بعدم استيعاب لكلماته.. يكمل حديثه ولكنها لم تعد تسمعه، يبتعد صوته عن أذنها شيئا فشيء، فلم تعد مسامعها قادرة على استيعاب المزيد من بعد ما قيل.. ولم تعد تملك على لسانها ما يكفيها من سكاكين حادة لترد بها

تلك الطعنة الموجعة.. توقف فمه عن الحراك فعلمت أنه قد أنهى شن كلماته الحادة، تظاهرت بالتجاهل وعادت لتقف إلى جانب العم كمال في صمت.. لحظات قليلة وقطع توتر الأجواء مجيء أحد أطباء المستشفى بوجه شاحب وجبين متعرق موجها كلماته إلى علي.

- ازيك يا علي؟

أجاب علي بلهجة حادة:

- سيادتك شايف إيه؟

تدخل العم كمال في الحوار قائلا:

- دا دكتور رأفت يا علي صاحب والدك.

وجه العم كمال نظره إلى الطبيب رأفت مستسمحا:

- معلش بقى يا دكتور اعذره.. حضرتك أكيد مقدر وفاهم الحالة اللي هو فيها.

- أكيد يا أستاذ كمال من غير ما تقول.. كان نفسي أقابلك في ظروف أحسن من كدا يا علي.. معرفش إذا كانوا الجماعة قالولك ولا...

قطع علي حديثه قائلا:

- أيوة أيوة قالولي على كل حاجة.

- طيب بص يا علي.. أنا طبعا المفروض مسمحش لأي حد يدخل للحالة دلوقتي.. بس والدك فاق من خمس دقايق ومصر يقابلك بأي طريقة، ومكدبش عليك الحالة سيئة جدا وأنا خايف تتفاقم زيادة لو رفضنا طلبه..

فا بحكم الصداقة وعشرة العمر اللي بيني وبين أبوك أنا هسمحلك تقابله.. لكن بشرط، المقابلة ماتزيدش عن عشر دقايق.

- طب مينفعش ندخل نطمن عليه احنا كمان يا دكتور؟ انشاالله دقيقة واحدة بس ونخرج تاني.

- صدقيني يا آنسة مينفعش.. لازم واحد بس اللي يدخل.

- خلاص يا علي خش انت يابني اطمن على أبوك واطلع طمنا عليه.

اصطحب الطبيب علي إلى الغرفة التي يمكث بها والده ثم تركه وذهب، لم يتردد علي حتى طرق الباب ثلاث مرات ثم دخل.. دخل ليجد والده مستلق على سرير ذي ملاءات بيضاء تشبه الكفن، مكبل بالمحاليل وأجهزة قياس النبض والتنفس.. لم يكن يستبعد أبدا رؤية والده بتلك الحالة في يوم من الأيام.. ولكنه لم يعلم أبدا مدى الحزن الذي سوف يتملكه عندما يأتي ذاك اليوم.

- إيه يا بابا مالك.. قلقتنا عليك.

كان ذلك ما قاله علي بصوت حنون بعد ما مكث بجانب والده واحتضن يسراه بكلتي يداه، لحظات ورفع الوالد يده بصعوبة ليضعها على رأس ولده ويتحثث شعره كما لو كان طفلا ثم قال مبتسما:

- فاكر يا علي وانت صغير لما كنت باجي آخدك من عند جدك كل يوم في نص الليل وتفضل تسألني كنت فين وليه بتأخر عليك كدا؟ وقتها عشان تستحمل غيابي كنت بقولك إن عندي شغل كتير وإني كل ما أتأخر عليك أكتر كل ما هعرف أجيبلك لعب أكتر.. فضلت كل يوم أقولك كدا لحد ما سنة ورا التانية كبرت ومبقاش همك اللعب يا حبيبي..

ساعتها بقيت لما آجي آخدك تعمل نفسك نايم عشان تبات عند جدك ومتروحش معايا.

ابتسم علي لوهلة ثم أكمل الوالد حديثه:

- لما كلمتك من سنتين وطلبت منك تجيلي بعد ما تتخرج بحجة إنك تشيل عني الشغل كنت بكدب عليك يا علي.. اليوم اللي كلمتك فيه كان نفس اليوم اللي عرفت فيه إن المرض بينهش في جتتي وإنه مش هيسيبني أعيش كتير.. مجيتك هنا يا علي كانت أول حاجة أغصبك عليها من يوم ما والدتك الله يرحمها اتوفت، بس سامحني يابني.. مكانش قدامي طريقة غير دي عشان ألحق أشبع منك قبل ما أموت.

- انت بتقول الكلام دا ليه دلوقتي؟

- عشان مش عايزك تغلط غلطتي يابني.. الناس اللي برة دول بيحسبوها بالورقة والقلم.. إنما أنا شايفه وهو جايلي من بعيد.. وصيتي ليك يا علي.. بيع كل حاجة يابني وارجع بلدك.. صفي كل مليم باقيلك هنا وارجع كون بيت وأسرة تحبهم ويحبوك.. متضيعش عمرك وانت بتجري ورا نفس السراب اللي أبوك سابك وجري وراه.. وإن كان على الفلوس فا أديني سيبتلك اللي يعيشك مرتاح باقي عمرك.. عشان أضمن إنك متتأخرش على حفيدي لنص الليل.

طال رنين جهاز رسم القلب.. وطال معه شلال بكاء الطفل ..كانت تلك هي المرة الأولى التي يبكي فيها علي دون أن يخاف أن يراه أحد، فقد مات للتو من كان يدفعه إلى مسح دموعه عندما يعلم بوصوله في منتصف الليل وقبل أن يسأله "بابا انت كنت فين؟ اتأخرت كدا ليه؟".

الاثنين ١٣ نوفمبر ٢٠١٧

الساعة الثانية عصرا بتوقيت الإمارات.

يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي" صدق الله العظيم.

انتهى علي من دفن جثمان والده بحضور العم كمال ونغم وبعض موظفي الشركة القدامى بالإضافة إلى قلة من الصداقات التي كونها محمود الشامي منذ مجيئه إلى الإمارات، لم يظهر خبر وفاة محمود الشامي الكثير من ملامح المفاجأة على وجوه الحاضرين، حيث إن الجميع كان يعلم بتدني حالته الصحية في السنوات الأخيرة.. رحل أغلب الحاضرين بعد أن قاموا بتعزية علي وقراءة الفاتحة على روح والده ولم يتبق لمواساته سوى العم كمال ونغم.. تقدم العم كمال بضعة خطوات لينضم إلى علي أمام قبر والده وقال:

- البقية في حياتك يابني.

- حياتك الباقية.

- علي أنا عارف إن الوقت مش مناسب بس أنا محتاج أقعد أتكلم معاك شوية.

- وأنا كمان يا كمال عايز أتكلم معاك.

- طيب تحب تروح ترتاح دلوقتي وأبقى أعدي عليك بليل ولا عندك استعداد آخدك دلوقتي ونروح نقعد في أي مكان؟

- لا تعالى دلوقتي.. أنا مش عايز أروح.

- طيب اللي يريحك.

توجه العم كمال إلى نغم وقال:

- روحي البيت ارتاحي انتي يا نغم.. أنا وعلي هنروح مشوار سوا.

- مشوار إيه اللي هتروحوه دلوقتي بس يا عمو.. تعالو البيت أعملكوا أي حاجة تاكلوها.. انتو على لحم بطنكم من الصبح.

- معلش يا بنتي مشوار ضروري.. روحي انتي واحنا مش هنتأخر.

- طيب.

رحلت نغم ملبية لطلب العم كمال وعاد الأخير إلى علي سائلا:

- فيك حيل تسوق ولا تحب تركب معايا؟

- لا لا أنا تمام.. اطلع انت على أي مكان وأنا وراك.

في تمام الثانية والنصف عصرا كان قد وصل كلاهما إلى أحد المقاهي التي جلسوا بها عندما اصطحب العم كمال علي إلى جولة في ثاني أيامه بالمدينة، كان لحسن حظهم أن يجدوا ذات الطاولة التي جلسوا بها في ذاك اليوم فارغة، اتخذ كلاهما مقعدا ثم قال العم كمال مبتسما:

- مش بيفكرك بحاجة المكان دا يا علي؟

- اه.. كان يوم حلو.

- عارف يا علي؟.. من ييجي ٥ سنين بنتي اتصلت بيا من مصر وقالتلي إنها حامل.. حامل في توءم، وقتها كنت هطير من الفرحة اني

أخيرا هبقى جد وهيبقى عندي أحفاد أرجع أيام طفولتي معاهم من تاني، لما عرفت إن بنتي ولدت طلبت من أبوك الله يرحمه إني أنزل مصر أشوف أحفادي.. عارف قاللي إيه؟ قاللي: "مفيش وقت يا كمال عندنا شغل.. ابعتلها تيجي بيهم من مصر أسهل".. وقتها سكت وزعلت من أبوك أوي إنه بعد كل سنين الخدمة دي مش سامحلي أنزل مصر أشيل احفادي، قعدت ٣ سنين هنا يابني مش عارف أنزل مصر أشوفهم.. كل اللي كنت أعرفه عنهم شوية صور وفيديوهات بنتي بتبعتهملي من الوقت للتاني.. لحد ما من ييجي سنتين كدا كنت قاعد مع أبوك في الشركة لقيته بيطلب مني أنزل مصر أجازة أشوفهم، وإيه بقى.. مش أي أجازة، دا سمحلي بأجازة مفتوحة.. يعني أقعد الفترة اللي أنا عايزها في مصر بعدين أبقى أرجع، دماغي كانت هتشت يا علي.. منين الراجل اللي من كام سنة هب فيا لما طلبت منه أجازة كام يوم جاي دلوقتي يديني أجازة مفتوحة بمرتب ومن غير حتى ما أطلبها؟! لدرجة إني فكرته بيسرحني من الشغل بالذوق.. يوميها بليل وأنا بحضر شنطتي سمعته بيكلمك وبيطلب منك تجيله أول ما تتخرج.. قولت بس.. دا هيجيب ابنه من مصر وهو متخرج طازة يعلمه الشغلانة عشان يمسك مكاني.. بس بيني وبينك يابني مفرقش معايا، كان كل همي أرجع مصر النهاردة قبل بكرة عشان أشوف بنتي وولادها اللي اتحرمت منهم ٣ سنين.. كملت تحضير شنطتي ورجعت مصر.. أسبوع والتاني لقيته بيكلمني وبيقولي ماخدش راحتي أوي في الأجازة.. طب وبعدين يارب في الخيلة الكدابة دي؟ لميت حاجتي ورجعت الإمارات تاني وكملنا شغل عادي زي ما يكون مفيش حاجة حصلت.. قولت يمكن كان بيعتذرلي عن الطريقة اللي عاملني بيها لما طلبت منه الأجازة زمان.. والموضوع عدى.. لحد ما امبارح سمعت من رأفت صاحب أبوك الحكاية اللي كان مخبيها عننا دي.. لما عرفت منه إن الحكاية دي

حصلت من سنتين تقريبا وفي نفس الوقت اللي ادانـي أجازة وكلمك عشان تيجي فيه فهمت إنه كان خايف يموت من غير ما يشبع منك.. وإنه خاف عليا أحصله أنا كمان قبل ما أشوف أحفادي.

- الله يرحمه.

- معلش يابني الكلام خدني شوية وطولت عليك.. المهم انت كنت عايز تكلمني في إيه؟

- أنا بصراحة كنت عايز أعتذرلك عن الطريقة اللي عاملتك بيها امبارح في المستشفى.. انت ملكش أي ذنب في اللي حصل، أنا بس كنت...

قاطعه العم كمال قائلا:

- من غير ما تكمل يابني.. أنا فاهم ومقدر الحالة اللي كنت فيها كويس.. الأهم من إنك تعتذرلي عايزك تعتذر لنغم على الكلمتين الحاميين اللي بختهم في وشها امبارح، هي مشتكتليش ومظنش إنها المرادي ناوية تشتكي.. بس أنا متأكد إن اللي قولته وجعها أوي يابني.

- على رأيك والله يا عم كمال.. أنا مش عارف ازاي قولت الكلام دا أصلا.. ومش عارف هي ازاي قبلته على نفسها وجت وقفت جنبي النهاردة بالطريقة دي.. دا ولا كإني قولت حاجة.

- سبق وقولتلك يابني نغم مفيش في جدعنتها ولا طيبة قلبها اتنين.. وبعدين ما انت عارف اللي أبوك الله يرحمه عمله معاها يخليها تقبل أي حاجة على نفسها عشان خاطره.. أنا بطلب منك تعتذرلها عشان صعبان عليا إن موت أبوك يفرق بينكو بالطريقة دي.

- ومن غير ما تطلب يا عم كمال.. أنا كدا كدا كنت ناوي أعتذرلها في أقرب فرصة.. وبمناسبة نغم أنا عايزك في موضوع تاني.

- اتفضل يابني.

- بابا كتب تلت أملاكه باسم نغم قبل ما يموت.

- نعم؟

- زي ما سمعت.. أبويا كتب تلت أملاكه باسم نغم قبل ما يموت.

- انت بتتكلم بجد يابني ولا بتهزر؟

- ودي فيها هزار برضه يا عم كمال؟

- والله يابني يبقى خير ما عمل.. بس معلش يابني متآخذنيش.. هو انت متضايق إنه عمل كدا؟

- لا خالص بالعكس.. أنا بس ببلغك عشان تمشي في الإجراءات وندي البنت حقها قبل ما أسافر.

- تسافر؟! تسافر فين يابني؟

- اه ما دي تاني حاجة عايز أكلمك فيها.

- خير يابني فهمني؟

- لما دخلت لبابا الأوضة في المستشفى وصاني إني...

تردد علي للحظات فقاطع العم كمال تردده بسؤاله:

- مالك يابني في إيه؟ ما تتكلم.

- وصاني إني أصفي كل الشغل هنا وأرجع مصر.

- طب ومالك يابني بتزق الكلام من على لسانك كدا ليه؟

- إيه دا هو انت مش متضايق؟

- لا يابني هتضايق ليه؟

- يعني.. تضايق عشان دا مجهود سنين من عمرك وهيضيع مثلا.

- علي احنا قبل ما نيجي هنا قولتلك إني محتاج أتكلم معاك في موضوع صح؟

- أيوة صح.. أنا آسف معلش سرحت في اللي كنت جاي أكلمك فيه ونسيت موضوعك، اتفضل.

- لا يابني ما أنا اتفضلت من بدري بس انت مش واخد بالك.

- مش فاهم.

أنا مش متضايق يابني عشان أنا كمان عايز أسيب الشركة وأرجع مصر.. أرجع بقى أعيش في وسط ولادي وأحفادي.. أشبع منهم وأتمتع بيهم قبل ما العمر يجري بيا وأقابل ربي الكريم أنا كمان.. كفاية أوي كدا شغل ومرمطة، أنا خلاص عجزت ومبقاش فاضلي كتير.

ابتسم علي ثم قال:

- فهمتك.

مع دقة السادسة مساء كان قد عاد علي إلى المنزل بعد أن قضى قرابة الثلاث ساعات مع العم كمال يتحدثان عن الإجراءات اللازمة لتنفيذ وصايا الوالد، عند وصوله وفي ساعة الغروب وجد نغم جالسة تؤرجح قدميها على ذات المقعد الذي شهد بداية صداقتهما، مضى ناحيتها في هدوء ثم قام بخلع سترته وجلس إلى جانبها دون أن يلقي التحية.

- آسف.

- على إيه؟

- انتي عارفة على إيه.

- وانت بقى جاي تعتذر بعد ما عمك كمال خدك على جنب اداك كلمتين في جنابك ولا عشان صعبت عليك؟

- ولا دي ولا دي.. جاي أعتذر عشان أول مرة اللي أقوله ميبقاش له علاقة باللي جوايا.

- علي انت مش محتاج تعتذرلي عن أي حاجة.. كل اللي قولته كان حقيقة ومكنتش متفاجأة وأنا بسمعه.

- ممم.. فاكرة المكان دا؟

- اه.. فاكراه.

- لما اتخانقنا هنا أول مرة قولتلك كلام أسوأ بكتير من الكلام اللي سمعتيه مني امبارح.. وبرغم كدا مكنتش مقتنع إني المفروض أعتذر، يمكن عشان اللهجة اللي اتكلمت بيها مهما كانت صعبة بس كانت حقيقية وبتعبر عن اللي جوايا من ناحيتك، انما أنا دلوقتي جاي أعتذرلك عشان

اللي قولته امبارح مكانش يشبه حتى اللي جوايا من ناحيتك.. كانت أول مرة أحس إني طفل بيجعجع من غير تفكير.. لا استني كدا مش أول مرة، حصلت مرة من ييجي سنة و٤ شهور كدا.

ضحكت نغم ثم قالت:

- ياه.. انت لسه فاكر؟

ابتسم علي ونظر إلى عينيها ثم قال:

- متزعليش بقى.

- خلاص يا عم مش زعلانة.

- طب يلا بقى جهزي نفسك عشان في خلال يوم أو اتنين بالكتير هتيجي معايا البنك أكرمشلك قيمة ٥ مليون جنيه في إيدك كدا.

- ٥ مليون؟ لا ياخويا حطهم في إيدك انت.

- يابنتي ما تحترمي نفسك بقى.

- أصل بصراحة يا علي مش عشان قولتلك إني مش زعلانة يبقى تستخف دمك والراجل لسه ميت كدا.

- ومين قالك إني بستخف دمي؟

ظهرت ملامح الاهتمام على وجه نغم ثم قالت:

- لأ وضح معلش؟

- لا بقى مش موضح حاجة غير لما تعتذري الأول.

- انجز يا علي أنا آسفة.

- أبويا كتب تلت ثروته باسمك.

- دا بجد؟!!

- أموت وأعرف ليه مقالكوش هو بنفسه قبل ما يموت بدل ماهو سايبني لناس مقتنعين إني أراجوز كدا!

- مش فاهمة؟

- أيوة يا ستي بجد.

- بس الفلوس دي مش من حقي!

- اومال من حق مين؟

- من حقك انت يا علي

- ليه هو أنا اللي بقالي فوق ١٠ سنين هنا بصحى كل يوم الفجر وأنزل جري عشان أفتح للموظفين وأفضل قاعد في الشركة لحد ما أتأكد إن آخر موظف مشي بعدها أبقى أروح؟

- ماهو أنا كنت باخد مرتب نظير دا على فكرة.

- ممم.. ويا ترى بقى المرتب دا شامل كمان شغل البيت اللي كنتي بتقومي بيه كله لوحدك لما الشغالين بياخدوا أجازة ولا أبويا اللي مكانش بيجيلك نوم غير لما تطمني عليه ٣٠ مرة؟ بلاش هبل يا نغم.. الفلوس دي من حقك انتي أكتر من أي حد تاني.. وبعدين انتي هتوجعيلي

دمـاغي ليـه؟ أبويـا هـو اللـي كتـب الفلـوس دي باسـمك ووصـاني إنـي اديهوملك في إيدك، أنا بنفذ الوصية مش أكتر.

- أيوة يا علي بس ٥ مليون دول كتير أوي.. هعمل بيهم إيه؟

- معرفش بقى اتصرفي.. وبعدين مفيش حاجة كتير عليكي.

بدأت الدموع تتساقط من أعين نغم فلحظها الأخير وقال:

- يوو بقى هتبربر وتقرفنا.. بتعيطي ليه دلوقتي؟

- ملكش دعوة!

- خلاص بلاش.. ممكن عشان خاطري تبطلي عياط؟

أخرج علي ورقة منديل من جيبه وأعطاها لنغم فمسحت دموعها وأكمل حديثه قائلا:

- أيوة كدا.. اهدي بقى عشان عايزك في موضوع تاني.

- موضوع إيه؟

- لما تهدي الأول.

- هديت.. اتكلم.

صمت علي للحظات ثم قال:

- بابـا وصـاني امبـارح قبل مـا يموت إنـي أصفي كل مليم هنـا وأرجـع مصر.. تصوري طلع مضحوك عليا كل المدة دي؟ طلع مكانش جايبني

هنا عشان أشيل عنه الشغل والكلام الفارغ دا.. بيقول إنه جابني هنا لما عرف بموضوع السرطان دا عشان يشبع مني قبل ما ي...

قاطعت نغم آخر حروفه سائلة:

- هتسافر؟

وضع علي رأسه في الأرض قائلا:

- مش أنا لوحدي اللي هسافر.. عم كمال كمان هيرجع مصر.

- وهتسيبوني هنا لوحدي؟

- وانتي عايزة مننا إيه بقى ما خلاص.. كلها يومين وهيبقى معاكي ٥ مليون جنيه.. ولو احتاجتي أكتر منهم كمان كلميني في أي وقت وكل اللي تحتاجيه هيكون عندك.

- علي هو انت ليه مُصر إن علاقتي بيكو كل غرضها الفلوس وبس؟

- مش قصدي يا حبيبتي والله.. قصدي إنك خلاص تقدري تستثمري فلوسك في أي مشروع وتتجوزي وتخلفي وتعيشي بقى الحياة اللي كان نفسك فيها من غير ما تبقي ملزمة من حد.

- وبعد ما أعمل كل دا.. هلاقي فين أخ زيك أحكيله كل همومي ومشاكلي وأناكف فيه طول الوقت؟ وألاقي فين راجل بطيبة عمو كمال أبقى مطمنة طول ما هو موجود في الدنيا من بعد باباك الله يرحمه؟ يا علي انتو أهلي.. أنا مليش حد في الدنيا برة البيت دا.

- وهنفضل أهلك يا نغم، أنا وانتي هنفضل اخوات وصحاب لحد ما أشيل ولادك على إيدي.. وكمال أهو هيقعد عواطلي جنب ولاده وأحفاده في مصر وتقدري تزوريه في أي وقت.

عادت دموع نغم للتساقط مرة أخرى فارتفعت نبرة صوت علي قائلا:

- لا لا لا انتي ناوية تعيطي تاني؟ أنا طالع أنام.

- خلاص خلاص.

عادت الابتسامة إلى وجه علي ثم مد يده ومسح دموعها قائلا:

- يلا هاتي بوسة.

ضحكت نغم بينما أعطاها علي قبلة على جبينها ثم ترك مكانه قائلا:

- تصبحي على خير.

- وانت من أهله.

صعد علي إلى غرفة نومه ثم قام بخلع ملابسه وألقى بجثته على الفراش بعد يوم طويل مليء بالفواصل والأحداث، قرر أن ينهي يومه بتفصيلة أخيرة لم يتوقع أن يعاود القيام بها من جديد قبل يومين فقط.

الفصل الخامس

شقة ٣

الأحد ١٩ نوفمبر ٢٠١٧

- باشا.. يا بيه.. اصحى يا بيه وصلنا إسكندرية.

استيقظ علي في تمام الثانية عشر ظهرا على صوت سائق السيارة التي استأجرها من مطار القاهرة قبل ساعتين لتعيده إلى الإسكندرية، نظر حوله ليستعيد ذكريات آخر ما رأته عيناه من معالم الإسكندرية قبل سبعة عشر شهرا وقبل أن يغادرها برفقة صديق عمره في زيارة إلى الساحل الشمالي، ارتسمت بسمة الحنين على وجهه ثم أسرع بفتح النافذة ليستشم رائحة اليود التي لطالما اشتاق لها أنفه.

- حمد الله على السلامة يا باشا.

- الله يسلمك.

- تحب أودي حضرتك على عنوان معين ولا حضرتك ناوي تحجز في فندق؟

قام علي بإملائه عنوان فيلا قاسم الشامي ثم أكمل:

- بس هستأذنك تطلع بينا عالبحر شوية الأول.

- بس كدا؟ عيوني.. واضح إن سيادتك مش من هنا.

- اشمعنا يعني؟

- اصل الطلب دا يا باشا دايما بيطلبه مني الجماعة المصراوية والمغتربين.. بيبقوا جايين بقى يا باشا عايزين يشوفوا البحر ويشموا هوا إسكندرية قبل أي حاجة.

- لا يا سيدي أنا إسكندراني.. بس تقدر تقول كدا بقالي حبة حلوين مجتش هنا، إسكندرية متغيرتش كتير عن أيام ما كنت هنا.

- إسكندرية مبتتغيرش خالص يا باشا.. تغيب تغيب وترجع تلاقيها زي ما هي.. وحضرتك كنت فين بقى على كدا؟

- كنت في الإمارات.

- وحلوة على كدا يا باشا الإمارات؟ أصل أنا من فترة كان اتعرض عليا أشتغل سواق هناك تبع شركة صاحبها راجل مصري كدا من عيلة الشوام.. تسمع عن عيلة الشوام يا باشا؟

- لأ.. بس إيه اللي منعك تروح؟

- والله يا باشا أنا كنت رايح لحد ما من كام يوم سمعت إن الراجل دا مات وإن ابنه باع كل حاجة ونزل مصر.. الله ينتقم منه بقى.

- ليه كدا بس؟

- يا باشا بقولك ضيع عليا فرصة عمري.. الواحد بيتنشأ على شغلانة يجيب منها مصاريف جوازه وفي الآخر ييجي ننوس عين ماما يبيع كل حاجة وياخد فلوس أبوه يتفسح بيها.. أنا قربت أكسر ال٣٠ يا باشا ولسه متجوزتش، راكن البت جنبي بقالها ٦ سنين لحد ما شعرها قرب يبيض وأهلها جابوا آخرهم مني.

- طب مش يمكن فيه ظروف خلته يعمل كدا؟

- ظروف إيه يا باشا بس.. ظروف إيه اللي تخليه يقطع عيش كل الناس اللي شغالة عندهم دي ويرجعهم من الغربة مكسورين بعد كل البهدلة دي.

- ادعيله يا سيدي ربنا يسهله.. ربك وحده عالم باللي خلاه يعمل كدا

- على رأيك يا باشا.. حمد الله على السلامة وصلنا.

نزل علي من السيارة ثم قام بإخراج رزمة من الدولارات من إحدى حقائبه وسأل:

- مقولتليش اسم الكريم إيه؟

- عماد يا باشا.

- ماشي يا عم عماد.. امسك.

مد علي يده بالمال بينما تناثرت ملامح الدهشة على وجه الأخير سائلا:

- إيه دا يا باشا؟!

في تمام الواحدة ظهرا كان قد انتهى علي من جولة لاسترجاع الذكريات في أنحاء منزله القديم، لم يكن من الغريب أن يجد كل شيء مغطى بالتراب حيث إن أحدا لم يقم بتنظيف المنزل منذ قرابة العام والنصف، وبرغم أن تلك الأتربة أضافت لسحر المنزل ذو الطراز القديم ولكنها كانت عائقا في وجه مبيته بالمنزل الليلة، ألقى علي بحقائبه على

الأرض ثم اتخذ مكانا على أحد مقاعد غرفة المعيشة وأخرج هاتفه ليقوم بتسجيل أولى مذكراته بعد العودة للإسكندرية من جديد.

"١٩ نوفمبر ٢٠١٧.. من أسبوع واحد بس لو كان حد قاللي إني هكون في إسكندرية النهاردة وقاعد بسجل مذكرات في بيتي القديم كنت هقول عليه مجنون، مش فاكر آخر مرة حصلتلي حاجة شقلبت حياتي بين يوم وليلة كدا كانت امتى.. بس مش مهم.. المهم إن أنا فرحان.. فرحان فرحة محستش بيها من يوم ما سيبت إسكندرية، كل حاجة هنا وحشتني.. البيت وحشني والبحر وحشني.. وليلى.. ليلى كمان وحشتني، بكرة أول ما أصحى هروح أزورها في العنوان اللي ادتهولي قبل ما أسافر.. بس للأسف النهاردة هضطر أروح أبات في أي فندق لحد ما أبعت حد ينضف الفيلا، لو حظي حلو هحكي بكرة عن يومي مع ليلى في تسجيل جديد.. هحكي عن رد فعلها لما تلاقيني بخبط على بابها بعد كل المدة دي.. هحكي عن كام تفصيلة صغيرة اتغيرت في شكلها.. هحكي عن الدفا اللي حسيته لما رجعت لحضنها.. ويارب يبقى حظي حلو.."

****

الاثنين ٢٠ نوفمبر ٢٠١٧
الساعة التاسعة صباحا

استيقظ علي في جناح فاخر لأحد الفنادق العريقة بالإسكندرية والذي يطل مباشرة على البحر بمنطقة محطة الرمل، نظر في ساعته ليتفاجأ أنه قد استغرق في النوم لقرابة الأربع عشرة ساعة.. ولكن انتابه شعور بالراحة حيث إن أحدا لم يتصل به طيلة ذاك الوقت، شعر أنه قد عاد أخيرا إلى حياته القديمة حيث لا يرن جرس هاتفه كل عشر ثوان ليتلقى المشاكل والشكاوى والأوامر السخيفة.. رفع سماعة الهاتف ليجري اتصالا بخدمة نزلاء الفندق حتى يرسلوا له وجبة فطور ثم توجه على الفور إلى الحمام ليقوم بإزالة لحيته ثم يلقي بجسده تحت المياه الدافئة استعدادا لمقابلة ليلى.

في تمام الثانية عشر ظهرا كان يقف علي أمام بناية تحمل الرقم ثلاثين في أحد أحياء الإسكندرية القديمة، نظر في الورقة التي أعطتها له ليلى ليتأكد من العنوان ثم صعد إلى الطابق الأول العلوي ليطرق باب يحمل الرقم ثلاثة، طال انتظاره حيث إن أحدا لم يقم بفتح الباب حتى تناثرت على وجهه ملامح الأسى والإحباط.. ظن أنها ربما تقضي وقتا بالخارج فمضى بخطوات يائسة ليعود من حيث أتى، لحظات واستوقفه صوت أجش ذو لهجة إقليمية ينادي من خلفه:

- يا باشا.. يا بيه.

التفت علي ليجد رجلا ذو بنية قوية وملابس تنتمي إلى صعيد مصر، استشف سريعا أنه على الأغلب حارس العقار فأجاب:

- نعم.

- سعادتك عايز حد؟

خطرت في بال علي فكرة سؤال ذاك الرجل عن ليلى فأجاب:

- أيوة.. في واحدة ساكنة هنا عندكو اسمها ليلى؟

- ليلى إيه يا بيه؟

- مش عارف.. هي كانت ادتني عنوانها هنا في شقة ٣ بس طلعت خبط على الباب محدش فتح.

- سعادتك متأكد يا بيه إن العنوان اللي ادتهولك صح؟

- أيوة هي كاتبة في الورقة إنها ساكنة في عمارة ٣٠ شقة ٣.

- يا بيه شقة ٣ بتاعة اللواء طارق رفاعي الله يرحمه وبنته ساكنة فيها دلوقتي.

سيطرت الدهشة على ملامح وجه الأخير سائلا:

- لواء مين وبنته إيه.. انت متأكد من اللي بتقوله دا ياا..؟

- عبد التواب يا بيه.. محسوبك عبد التواب

- انت متأكد من اللي بتقوله دا يا عبد التواب؟!

- أيوة يا بيه أنا في العمارة دي من ييجي ١٠ سنين.

- طيب.. شكرًا.

التف علي ليرحل بينما توالت الأسئلة في رأسه واحدا تلو الآخر.. لماذا أعطتني تلك العاهرة عنوانا مزيف؟ ألا تريد رؤيتي مرة أخرى؟ هل كانت تتلاعب بمشاعر شاب يصغرها في السن حتى تنهي مدة عطلتها وتعود لحياتها من جديد؟ لا لا.. من المؤكد أنني قد أخطأت في العنوان.. ولكن إن لم أخطئ.. فهل هذا يعني أنني لن أراها مجددا؟!

- علي.

سمع علي ذاك النداء آت من خلفه بصوت أنثوي يحمل نبرة يعرفها جيدا، التفت ليجيب النداء فتبدلت ملامح وجهه وانتابه الذهول قائلا:

- مريم!!

- ازيك يا علي؟

- أنا.. أنا كويس الحمد لله.

- فينك؟ بقالك كتير مختفي.

- لا أصلي سافرت أشتغل برة وحصلي شوية ظروف كدا بس.

- ظروف إيه؟

- سيبك مني.. انتي إيه اخبارك مع خالد؟

تبدلت ملامح وجه مريم بينما وضعت رأسها في الأرض فسأل علي:

- مالك يا مريم في حاجة؟

- لا مفيش.. أنا وخالد سيبنا بعض

- حصل امتى دا؟!

- من ييجي سنة كدا.

- طب وليه كدا؟

- لا دي حدوتة طويلة أوي.

- طب إيه رأيك نتقابل يوم أعزمك على قهوة وتحكيلي اللي حصل؟ دا لو يعني معندكيش مانع.

- لا معنديش مانع.

- طيب يناسبك بكرة بليل؟

- يناسبني جدا.. وأهو بالمرة انت كمان تحكيلي اللي حصلك.

- خلاص اتفقنا.. قوليلي بس انتي ساكنة فين وأنا هعدي عليكي بكرة نروح المكان اللي يعجبك.

- أنا ساكنة هنا.. في الدور الأول

- غريبة.

- إيه اللي غريب في كدا؟

تردد علي للحظات ثم أجاب:

- لأ أصل.. أصل أنا كنت جاي أزور حد تاني ساكن هنا في الدور الأول برضه.. شقة ٣.

ضحكت مريم فتعجب علي من ردة فعلها وسأل:

- بتضحكي على إيه؟

أجابت مريم بينما تستمر في الضحك:

- مش احنا نعرف بعض من ٥ سنين؟ بس بصراحة أول مرة أعرف إن دمك خفيف كدا يا علي.

- مش فاهم.

- علي أنا اللي ساكنة في شقة ٣!

****

"٢٠ نوفمبر ٢٠١٧.. امبارح كنت فاكر إني هحكي في المذكرة دي عن ليلى وعن جمال اليوم اللي قضيته معاها.. بس الحقيقة إن اللي حصل النهاردة كان غير كدا خالص، اللي حصل لو فضلت أفكر فيه بقية عمري مش هلاقيله تفسير.. ليلى ادتني عنوان مريم.. أيوة زي ما قولت كدا.. ليلى ادتني عنوان مريم، جابته منين؟ معرفش.. تعرف مريم منين أصلا؟ معرفش.. طب عملت كدا ليه؟ معنديش أدنى فكرة.. زي ما تكون عايزاني اروحلها، زي ما تكون عارفة إني هرجع تاني وأحاول أزورها في الوقت دا بالذات وبعد ما خالد يسيب مريم.. فا أنا بصراحة مش ناوي أتعب دماغي في التفكير أكتر من كدا.. المهم إني اتفقت مع مريم نتقابل بكرة عشان تحكيلي عن اللي حصلها مع خالد، برغم إني أعرف مريم من خمس سنين وأكتر لكن سخرية القدر إن بكرة هتكون أول مرة أخرج معاها.. هو أنا أكيد مبسوط إني قابلتها تاني.. بس في نفس الوقت عايز أعرف ليلى فين.. عايز أعرف إذا كنت هقابلها هي

كمان تاني ولا لأ.. وبصراحة بعد اللي حصل النهاردة مبقتش متأكد إذا كنت هحكي بكرة عن مريم.. ولا عن ليلى.."

****

الثلاثاء ٢١ نوفمبر ٢٠١٧
الساعة الثانية ظهرا

بدأ علي ثالث أيام عودته للإسكندرية في أحد المقاهي الشعبية التي كان يمضي بها الكثير من الوقت برفقة أعز أصدقائه في سنوات الدراسة، لم تفارق البسمة وجهه منذ أن جاء حيث إنه لم يلحظ الكثير من التغير في أجواء المكان وأوجه الحاضرين، افتقد كثيرا لذاك المزيج.. المزيج الذي يجمع بين رائحة البن وصوت ارتطام الملاعق بأكواب الشاي وآيات القرآن المشوش عليها عن طريق محترفي ألعاب الدومينو والطاولة في نهائيات كأس العالم للفراغ.

- علي باااشا.

التفت علي عند سماعه ذاك النداء ليجد "زيكا" أحد الشباب العاملين بالمقهى منذ زمن والذي يعتبر من علامات المكان فأجاب مبتسما.

- صبح يا زيكا عامل إيه؟

- كله بخير الحمد لله.. إيه يا باشا الغيبة الطويلة دي فينك؟

- أهو سافرت آكل عيش بعد التخرج شوية ولسه راجع.

- ألف حمدلله على السلامة يا باشا.

- الله يسلمك.

- أومال خالد باشا فين صحيح؟ بقاله ياما غايب عننا هو كمان.

- والله ما أعرف عنه حاجة بقالي كتير.

- ليه كدا بس يا باشا؟ دا انتو كنتو أصحاب الروح بالروح!!

- أهو ظروف بقى يا عم زيكا هنعمل إيه.

- قولي طب يا باشا حصل حاجة ولا إيه؟

- لا محصلش حاجة والله بس انت عارف بقى الدنيا تلاهي.

- جاحدة.. متلاقيش اتنين صحاب غير أما تفرقهم عن بعض.

- على رأيك.

- تشرب حاجة يا باشا؟

- اه والنبي يا زيكا هاتلي قهوة سادة.

- بس كدا؟ من عنيا.. أحلى قهوة اسكتو لعلي باشا.

- تسلم.

- بس ليك وحشة والله يا باشا.

- وانت أكتر والله يا حبيبي.

غادر علي المكان بعد أن أنهى احتساء قهوته ليعود إلى الفندق مجددا ويستعد للقاء مريم.. نظر في ساعته ليجدها لا تزال الثالثة عصرا فقرر استغلال الوقت المتبقي والعودة إلى الفندق مشيا على الأقدام حيث يمكنه زيارة المزيد من الشوارع والأماكن التي كان يتردد عليها.

- بتدور على حاجة معينة يا باشا؟

كان يعد ذلك السؤال أحد أكثر الأسئلة اعتيادية من قبل بائعي سوق الغرفة التجارية بمنطقة محطة الرمل والذين يتجنبهم أهل الإسكندرية أغلب الوقت لأسلوبهم غير اللائق بالتعامل، أجاب علي دون أن يلتفت:

- لا شكرا.

اقترب البائع من علي ثم أمسك بيده قائلا:

- طب تعالى بص بصة بس يا باشا.. عندنا بليزرات وبنطلونات وجزم حكاية وأسعارنا مش هتلاقيها عند حد.

تضايق علي من أسلوب البائع فارتفع صوته قائلا:

- سيب إيدي يا عم انت! قولتلك شكرا خلاص!

ترك البائع يد علي ثم تراجع بضع خطوات للوراء قائلا:

- آسف يا باشا حقك عليا.. بس وحياة أبوك نفعني وأنا اللي عليا هعمل معاك الواجب.

رضخ علي لمطلب البائع عندما أدرك ملامح الحاجة على وجهه قائلا:

- لا إله إلا الله.. تعالي يا سيدي وريني عندك إيه.

سادت الفرحة على وجه الأخير بينما أجاب بنبرة حماسية:

- عندي كل حاجة يا باشا.. بص سعادتك في البليزرات دي وارد إيطاليا.. والجزم دي براندات برضه كلها.. وفيه عندي جوة قمصان لو حضرتك عايز.

- معندكش لبس عادي؟

- لبس عادي ازاي يا باشا ولمؤخذة؟

- يعني تيشيرتات.. جاكيتات شبابي شوية عن دي.. كدا يعني.

- بس كدا يا باشا فهمتك.. معلش يا باشا متآخذنيش بس لبس سعادتك ما شاء الله يعني خلاني قولت إن ملكش في الكلام دا.

نظر علي إلى ملابسه ثم قال:

- لا دا لبس الشغل بس.

- خلاص يا باشا اللي تؤمر بيه.. نقي سعادتك اللي عايزه ومش هنختلف.

انتقى علي بضع قطع من الملابس البسيطة التي تلائم سنه والتي اعتاد أن يرتديها قبل سفره إلى الخارج حيث فضل أن تراه مريم بالمظهر الذي اعتادت أن تراه عليه في الماضي.

- ماشي حسابنا كام كدا؟

- خلاص يا باشا.

- لا مينفعش.

- خلاص والله.

- يا عم قول بس.

أطال البائع نظره في أعين علي للحظات ثم أجاب:

- ١٦٣.

- نعم؟

- حساب سعادتك.. ١٦٣ جنيه.

- اه.. تمام.

****

في تمام السابعة والنصف كان قد انتهى علي من وضع آخر لمسات استعداده لمقابلة مريم، أرسل لها رسالة تفيد بأنه سوف يصل إلى منزلها في خلال نصف ساعة على الأكثر ثم غادر الفندق ومضى في طريقه إليها، كان يتملكه شعور غريب يتأرجح بين الفضول والخوف، الفضول أن يعلم ما دار بينها وبين خالد في فترة غيابه.. والخوف أن تكون تلك المقابلة بداية وقوعه في حبها من جديد.

- ألو.

- أيوة يا مريم.

- أيوة يا علي.. أنا خلاص قربت أجهز.. انت فين؟

- أنا خلاص وصلت تحت بيتك اهو.

- طيب ادیني ٥ دقايق بالظبط وهكون عندك.

- خدي راحتك.. مستنيكي.

كانت تلك هي المكالمة الهاتفية القصيرة التي أجراها علي مع مريم في تمام الثامنة إلا عشر دقائق وبعد أن وصل إلى منزلها، طال انتظاره لقرابة الربع ساعة حتى وصلت مريم وعلى وجهها ذات الابتسامة الرقيقة التي أوقعت بالأخير في شباك حبها من سنوات.

- كل دا تأخير؟

- معلش بقى معرفتش أقولك اتفضل.. أصل مفيش حد في البيت.

- ولا يهمك.. على فكرة أنا نسيت أعزيكي امبارح في وفاة والدك، البقية في حياتك.

- حياتك الباقية.. بس عرفت منين؟

- عرفت وخلاص.. المهم قوليلي، عايزة تروحي فين؟

- أي حتة.

- اختاري انتي المكان اللي بترتاحي فيه وأنا معاكي.

ابتسمت مريم ثم قالت:

- ممم.. خلاص عرفت هوديك فين.

- هتوديني فين؟

- ملكش دعوة بقى سيبلي نفسك.

بادلها علي الابتسام قائلا:

- ماشي.

تابعت مريم حديثها بينما يمضي كلاهما إلى المكان التي أشارت إليه:

- احكيلي بقى إيه اللي حصلك في السنة ونص اللي فاتوا؟

- بعد آخر مرة كلمتك فيها جاتلي مكالمة تاني يوم من واحد صاحب أبويا بيبلغني فيها إن أبويا تعبان أوي وإن يستحسن أسافرله في أسرع وقت.. أنا كنت مسافر أصلا عشان أشتغل هناك لكن مكنتش عامل حسابي إن الموضوع هييجي بالسرعة دي.. المهم لميت حاجتي وسافرت الإمارات تاني يوم.

قاطعته مريم بسؤالها:

- إيه دا ثانية واحدة كدا.. يعني انت مقابلتش خالد قبل ما تسافر؟

- لأ.. هقابله ليه؟

- أصل أنا روحتله البيت تاني يوم بعد ما انت كلمتني، اتخانقنا مع بعض وسيبته ومشيت.. تاني يوم لقيته باعتلي رسالة بيقولي إنه هيروحلك الصبح عشان تتصالحوا، من بعد ما رجع فضل كام يوم متغير ومش بيرد على مكالماتي، فين وفين لما عرفت أوصله اكتشفت إنه دخل في سكة المخدرات والهيروين وبقى مدمن.. حاولت معاه كتير إنه يبعد عن السكة دي لكن مفيش فايدة.

****

- انت لسه بتتعاطى الهباب دا!

- عايزة إيه يا مريم؟

- عايزاك يا أخي.. عايزاك واللي بتعمله دا هيضيعك مني!

- ولا هيضيعني منك ولا حاجة.. كل الخلق بتشرب، وأولهم سي علي بتاعك.. وبعدين الهباب اللي بتقولي عليه دا هو اللي مخليني واقف على حيلي ومستحمل العيشة.

- هو انت فاكر إنك كدا واقف على حيلك؟ يا أخي روح بص لشكلك في المراية.. مش هو دا خالد اللي أنا عرفته وحبيته.

- يووووه بقى يا مريم!

- أقولك على حاجة؟ أنا اللي مبقتش قادرة أستحمل أكتر من كدا.. يا تخاف على نفسك نص خوفي عليك وتبطل الهباب دا.. يا إما تنسى إنك كنت تعرفني في يوم من الأيام.

****

- بعدها بكام يوم سيبنا بعض وملحقتش أعرف إذا كنتوا اتقابلتوا اليوم دا ولا لأ.

- خالد أدمن؟! دا مكانش حتى بيشرب سجاير غير كل فين وفين!

- ودا اللي هيجنني يا علي.. مش عارفة إيه اللي حصله.

- طب معلش يا مريم أنا عندي سؤال.. انتي بتقولي إنك روحتيله البيت تاني يوم بعد ما كلمتك واتخانقتوا.. ولما حب يصالحك بعتلك رسالة قالك إنه هيجيلي الشاليه تاني يوم عشان نتصالح.. معنى كدا إنكو اتخانقتوا بسببي؟

- لأ هو.. هو مش بسببك بظبط يعني بس أنا لما روحتله عشان أبلغه الرسالة اللي قولتهالي اتنرفز عليا من غير سبب وتقريبا طردني.. على فكرة احنا وصلنا.

توقف علي ثم نظر حوله ليجد نفسه أمام أحد البلوكات الصخرية المطلة على البحر والمنقوش عليها بخط عريض "أحمد بيحب سلمى" وبجانبه إحدى العربات المتجولة التي تقدم المشروبات الساخنة.

- وصلنا فين؟

- وصلنا المكان اللي قولتلك عليه.. إيه معجبكش؟

- لا بالعكس عجبني جدا.. بس بصراحة كنت فاكرك هتودينا مكان صايص من اللي البنات بتحبهم دول.

- صايص؟!

- اه صايص.. يعني مكان ملزق كدا وكله مظاهر.

- طب لعلمك بقى.. أي بنت في الدنيا بيبقى نفسها تيجي تقعد في مكان زي دا، بس بنخاف من المعاكسات.. فا أنا بصراحة قررت أستغل فرصة إنك معايا وأجيبك هنا.

ابتسم علي قائلا:

- يا ستي ياريت تستغليني كل يوم.. انتي متعرفيش مكان زي دا بالنسبالي حلو قد إيه.

بادلته مريم الابتسام فسأل:

- تشربي إيه؟

دقائق معدودة وعاد كلاهما بكوب من القهوة في يده ثم جلسا إلى جانب بعضهما فوق أحد البلوكات الصخرية:

- مكملتليش صحيح.. إيه اللي حصل بعد ما سافرت؟

- ولا حاجة.. لما روحت هناك لقيت أبويا صحته في النازل شوية فعلا بس بيكابر ومش عايز يتعالج.. بيني وبينك ساعتها قولت دول شوية تعب بحكم سنه وضغط الشغل فا كل اللي أقدر أعمله إني أنزل معاه الشغل أساعده وأشيل عنه الحمل شوية، نزلت تدريب كام يوم وبعدها بأسبوع عينوني مدير حسابات الشركة، قعدت هناك ييجي سنة و٤ شهور كدا، لحد ما من ييجي أسبوع أبويا تعب فجأة واتنقل مستشفى.. عرفنا من الدكتور إنه كان عنده سرطان ومخبي علينا.. ومات في نفس اليوم.. بس يا ستي، دا كل اللي حصل.

ظهر مزيج من ملامح التعجب والحزن على وجه مريم من بساطة سرد علي لأحداث بذاك الأسى، رفعت صوتها بعض الشيء قائلة:

- يا لهوى يا علي انت ازاي ماقولتليش الكلام دا من بدري! البقية في حياتك.

- حياتك الباقية.

- طب وانت إيه اللي رجعك بسرعة كدا؟

- أبويا قبل ما يموت بدقايق اعترفلي إن السنة ونص اللي قضيتهم هناك دول كانو تمثيلية وإنه طلبني أروحله عشان يلحق يقضي معايا آخر

أيامه لما عرف إن عنده سرطان، بعدها وصاني إني أصفي كل حاجة باسمنا هناك وأرجع مصر تاني.. عشان يعني أكون بيت وعيلة والكلام اللي انتي عارفاه دا.. وبصراحة أنا كمان كان نفسي أرجع.

- اتغيرت أوي يا علي.

- اتغيرت ازاي يعني؟

- يعني مش حاسة إني قاعدة مع علي الهادي الخجول اللي كنت بشوفه زمان عندنا في الكلية.

- ودي حاجة حلوة ولا وحشة؟

ابتسمت مريم ثم أجابت:

- مش عارفة.

ساد الصمت بينهما لعدة دقائق لم يعل بهم صوت عن صوت أمواج البحر حتى سأل علي:

- ساكتة ليه؟

- علي هو.. هو انت كنت بتحبني بجد؟

****

"٢١ نوفمبر ٢٠١٧.. كعادة آخر فترة من حياتي.. مفاجآت مفاجآت مفاجآت.. يمكن مفاجأة النهاردة مكانتش إني روحت لاقيت واحدة تالتة ساكنة في العنوان اللي ادتهولي ليلى، أو إن حصلت حاجة عطلت

نزولتي مع مريم مثلا.. عشان مفاجأة النهاردة كانت مريم نفسها، من أول المكان اللي اختارت إننا نروحه لحد آخر حاجة حكيتها عن حياتها في الوقت اللي كنت فاكر فيه إنها اتجوزت وقاعدة في البيت.. حاسس إني بعرفها من أول وجديد.. يمكن زعلت لما قالتلي إن خالد دخل في سكة المخدرات، وزعلت أكتر لما عرفت منها إنه حاول يوصلي قبل ما أسافر لكن ملحقنيش.. بس فرحتي بيها غطت على كل حاجة، يتهيألي إن اللي حصل في حياتي كله كوم.. واللي حصل من ساعة ما رجعت إسكندرية كوم تاني.. مين كان يصدق إن في ظرف أسبوع واحد حياتي تتشقلب بالشكل دا؟ أبويا يموت فجأة وأرجع إسكندرية بعدها أروح أزور ليلى في العنوان اللي ادتهولي فا أكتشف من غير تفسير واحد إنها ادتني عنوان مريم عشان أقابلها تاني بعد ما خالد يكون سابها؟ مين كان يصدق إن ييجي اليوم اللي أسأل نفسي فيه.. هو النهاردة كان أحلى، ولا يوم ما قابلت ليلى؟".

****

الفصل الأخير

زي الأفلام

الخميس ٢٦ أبريل ٢٠١٨
الساعة السابعة والنصف مساء

استيقظ علي من غفلة طالت مدتها إلى ثلاث ساعات ليجد نفسه مستلقيا فوق أريكة بغرفة المعيشة الخاصة بفيلا قاسم الشامي محاطا بالعديد من زجاجات البيرة الفارغة، لحظات قليلة والتقطت آذانه صوت رنين جرس هاتفه الملقى على الأرض.

- ألو

- ألو سلام عليكم

- وعليكم السلام.

- باشمهندس علي معايا؟

- أيوة أنا.. مين حضرتك؟

- أهلا وسهلا.. أنا حسام يا فندم المسئول عن قاعة الأفراح اللي حضرتك طلبت تأجرها يوم الجمعة الموافق ٤ مايو.

- أيوة آه.. خير يا فندم فيه حاجة؟

- لالا خالص مفيش حاجة.. أنا بس حبيت أعرف من حضرتك الفرح هيكون الساعة كام بالظبط.

- الفرح هيكون الساعة ١١ إن شاء الله.

- الساعة ١١.

- أيوة.

- تمام يا فندم.. آسف لو أزعجت حضرتك وألف مبروك.

- لا مفيش إزعاج ولا حاجة.. الله يبارك فيك.

لم تمر لحظات من انتهاء المكالمة حتى طرق أحدهم جرس باب المنزل، قام علي ليرتدي ملابسه في عجلة ثم ذهب ليفتح الباب حتى يتفاجأ بمريم حاملة في يدها بضعة علب بلاستيكية تفوح منها رائحة الطعام.

- حمد الله على السلامة.. ساعة عشان تفتح الباب؟

أفسح لها علي الطريق حتى تدخل بينما سأل:

- مش كنا مع بعض الصبح يا بنتي، لحقت أوحشك؟

- ولا وحشتني ولا حاجة.. أنا بس قولت آجي أدوقك عمايل إيدي قبل ما تفكر ترجع في كلامك.

- دا أكل بجد يعني؟

- انت شايف إيه؟

- لا تمام تمام.

- ممم.. طب بطل تريقة بقى وخش هاتلنا أطباق.

ذهب علي في طريقه إلى المطبخ ليلبي طلبها بينما قال ضاحكا:

- والله ما بتريق.. مكنتش أعرف بس إنك بتعرفي تطبخي.

وضعت مريم ما كانت تحمله من علب بلاستيكية على سفرة الطعام ثم لحقت به إلى المطبخ وسألت:

- يا سلام! يعني انت عايز تقنعني إن عندك استعداد تتجوز واحدة مبتعرفش تطبخ؟

- يعني.. على حسب.

- على حسب إيه بقى إن شاء الله؟

نظر الأخير إليها ثم أجاب مبتسما:

- يعني لو زي القمر كدا واسمها مريم طارق معنديش مانع نقضيها ديلفري.

بادلته مريم الابتسام قائلة:

- ممم.. ما انت بتهزر أهو.. أومال كنت ضارب في وشي بوز الصبح ليه؟

- أيوة قولي كدا بقى.. يعني جاية عشان تعرفي كنت ضارب بوز الصبح ليه.. وجايبالي الأكل دا رشوة عشان أعترف.

- لأ بجد يا علي.. كان مالك الصبح في إيه؟

- مفيش والله يا حبيبتي.. انتي عارفة بس النهاردة سنوية جدي الله يرحمه فا كنت متضايق شوية.

- الله يرحمه.. أنا آسفة بجد يا علي مجاش في بالي حاجة زي كدا.

- لا آسفة على إيه.. ولا يهمك.

عاد كليهما إلى سفرة الطعام محملين بالملاعق والأطباق بينما لحظت مريم زجاجات البيرة التي تملأ غرفة المعيشة فقالت:

- ماقولتليش يعني إنك رجعت للشرب تاني.

- لا دا النهاردة بس.. وبعدين أنا وعدتك إني هبطل الكلام دا بعد الجواز.

- ماشي.. أما نشوف.

ابتسم علي ثم أمسك بيدها قائلا:

- متقلقيش.. أنا علي يا مريم مش.. مش حد تاني.

طمأنت كلماته مريم بعض الشيء، ساد الصمت لبضعة دقائق بينما يتناولون طعامهم حتى سألت مريم:

- صحيح ماقولتليش.. عزمت مين على الفرح؟

- لسه والله معزمتش حد.

- مستني إيه يا علي! دا الفرح خلاص فاضل عليه أسبوع.

- ما أنا معنديش حد أعزمه.

- طب وبعدين ناوي تعمل إيه؟

- ولا قبلين.. هبقى أكتب بوست على الفيسبوك بميعاد ومكان الفرح واللي عايز ييجي ييجي بقى.. المهم انتي عزمتي مين؟

- عزمت الكام صاحبة اللي حيلتي من أيام الكلية بس.. لسه مفيش حد تاني في دماغي.

دخل علي بالتدريج في نوبة من الضحك فسألته مريم متعجبة:

- بتضحك على إيه؟

- أصل أنا وانتي مقطوعين فشخ بصراحة.. أنا خايف نصعب على فرقة الزفة وميرضوش ياخدوا مننا فلوس.

بادلته مريم الضحك ثم قالت:

- تصدق انت رخم.

- طب بقولك إيه بقى بما إني رخم.. ما تجيبي بوسة دلوقتي كدا ونحتسبها عند الله حلال.

رفعت مريم يدها بالملعقة بينما امتعض وجهها قائلة:

- علي والله لو ما لميت نفسك هضربك.

- هتضربيني بالمعلقة؟

- أه!

- طب كملي ياختي أكل

- قال عايز يبوسني قال!!

- نينينينيني.

****

الثلاثاء ١ مايو ٢٠١٨
الساعة الثانية ظهرا

" ١مايو ٢٠١٨.. آخر مرة سجلت كانت من ٥ شهور أو أكتر، لسه فاكر اليوم دا كويس.. كان يوم ما خرجت مع مريم لأول مرة بعد ما قابلتها صدفة في العنوان اللي ادتهولي ليلى.. وقتها كنت حاسس إني بفتح معاها صفحة جديدة وبصراحة اتعشمت إن ممكن المعجزة تحصل ويبقى في بيننا حاجة برغم كل اللي حصل.. بس مكنتش أتخيل أبدا إني بعد شهر واحد بس من اليوم دا هطلب إيدها وتوافق.. غريبة أوي.. الحدوتة كلها على بعض غريبة.. غريبة لدرجة إني بقيت أتجنب التفكير فيها بالمنطق.. في خلال سنتين وبس كل الظروف تآمرت عشان مريم تكون ليا.. من أول خالد اللي سابها بكامل أرادته لحد أبويا اللي طلب مني أرجع إسكندرية زي ما يكون عارف إنها مستنياني.. حتى ليلى.. ليلى اللي كنت متخيل إنها طوق النجاة من قصة حبي ليها طلعت أهم جزء من المؤامرة.. المؤامرة اللي خلتني ماسك الموبايل دلوقتي وبقول إن فرحي على مريم بعد يومين.. متوتر؟ مخضوض؟ خايف شوية؟ يمكن.. لكن الأكيد إني مش متردد، مش متردد عشان بقيت بمجرد ما بحس إن مريم قلت في عيني ولو بنسبة ١% بفكر نفسي بأيام ما كنت أتمنى بس تبصلي، بفكر نفسي بالليالي الطويلة اللي عيشتها وأنا بحلم بيها، بفكر نفسي بالوجع اللي حسيته يوم ما شوفتها مع خالد، بفكر نفسي بكل لحن عزفته وأنا شايف صورتها على النوتة قدامي.. وبفكر نفسي بفرحتي يوم ما قابلتها من تاني.. بفكر وهفكر نفسي بكل لحظة كانت مريم عندي فيها تساوي الدنيا.. عشان عمري ما هسامح نفسي لو ضاعت من إيدي تاني".

أنهى علي تسجيل أولى مذكراته منذ مدة ليست بقصيرة بينما يحتسي القهوة في حديقة الفيلا العتيقة، لحظات قليلة ورن جرس هاتفه من أحد الأرقام غير المسجلة والتي اعتاد مؤخرا أن يتلقى منها المكالمات في ظل تحضيراته للفرح.

- ألو.

- بقى يا جزمة انت يجيلك قلب ومتسألش عليا من ساعة ما ترجع مصر وكمان أعرف بالصدفة إنك بتتجوز ومتعزمنيش على الفرح!

- ياااه.. انتي يا بنتي مفيش فايدة في لسانك دا خالص؟! عاملة إيه يا بت وحشاني.

- لا والنبي وحشاك؟ مش باين.

- والله يا بنتي لو قعدت أحكيلك اللي حصلي من ساعة ما رجعت لحد دلوقتي ما هتصدقي.. إيه دا استني كدا.. انتي بتتصلي من رقم في مصر؟! لا متقوليش.

- أيووه عليا دا أنا كنت عايزة أعملهالك مفاجأة.

- مفيش فايدة في غباوتك.. عايزة تعمليهالي مفاجأة تقومي متصلة بيا من رقم في مصر.. قنبلة ذكاء يا نغم والله!

- خلاص بقى يا لولو بلاش إحراج.. وبعدين تعالى هنا، مش تعزمني على الفرح الأول بدل ما انت قاعد تهزقني كدا؟

- يا بنتي هو انتي محتاجة عزومة؟! دا انتي تيجي تقعدي على الكوشة مكاني.. بس مش تسأليني الأول مين العروسة؟

- مين؟

- مريم.

- مريم مين؟! مريم اللي حكتلي عنها؟! لا بتهزر.

- والله يا بنتي ما بهزر.. مش قولتلك مش هتصدقيني لو حكيتلك؟

- ودي عترت عليها تاني فين يا ابن اللذينة؟

- لا دي حكاية طويلة أوي هبقى أحكيهالك لما نتقابل.. المهم قوليلي، انتي خلاص كدا ناوية تستقري هنا ولا جاية أجازة وراجعة تاني ولا إيه؟

- لا ياخويا قاعدة على قلبك.

- طب والله أحلى خبر سمعته من زمان.. بس إيه اللي حصل خلاكي ترجعي؟

- اتخنقت من العيشة هناك لوحدي.. انت وعمك كمال سيبتوني ورجعتوا مصر وقعدت أنا وشي في وش الحيطة أغني ظلموه.

- طب بقولك إيه صحيح متعرفيش أوصل لكمال ازاي؟ عايز أعزمه هو كمان على الفرح.

- أه كان سابلي رقمه في مصر.. هبعتلك الرقم في رسالة.

- طيب يلا مستنيكي يوم الجمعة الساعة ١١.. متتأخريش.

- المهم متتأخرش انت بس.. أحسن أنا عارفاك مسطول.

- لا ياختي متخافيش.

لم تغرب الابتسامة عن وجه علي منذ أن أغلق الخط، حيث إنه لم يكن ليتوقع مفاجأة تضفي عليه ذاك القدر من البهجة في ظهيرة يوم ثلاثاء تعيس وفي أوقات لا يخفف من ضغوطها سوى مكالمة رومانتيكية تجمعه بالحبيبة من آن إلى آخر.. دائما ما تنجذب نحو أجسادنا حرارة نيران قد قمنا بإشعالها يوما، تنجذب نحونا لكي تمدنا بالطاقة التي نقطع بها رهانات الصمود في ليالي البرد والوحدة، لكي تضيف لنا خيار الحرب.. لكي تطرح علينا سؤال البقاء، وبفضل ما قمت أنت بإشعاله يوما، لا أعتقد يا صديقي أنك سوف تموت بردا.

****

- ألو.

- أيوة يا مريم.. خير حصل حاجة؟!

- لأ مفيش حاجة حصلت.

- طيب الحمد لله.. أومال فيه إيه؟

- بكلمك يا علي عادي.. أنا صحيتك من النوم؟

- لا يا حبيبتي طبعا صحيتيني من النوم إيه بس.. أنا كنت قاعد بتفرج على أفلام سكس!!

- لم نفسك يا علي.

- ألم نفسي ازاي بس! متصلة بيا الساعة ٣ الفجر وأنا عندي مليون مشوار الصبح وبتسأليني إذا كنتي صحيتيني من النوم ولا لأ؟! ما أكيد نايم يعني يا مريم أومال هكون بعمل إيه!!

- خلاص خلاص.. أنا آسفة، باي.

- استني.

- نعم؟!

- خلاص صحيت.. عايزة إيه؟

- لا خلاص مش عايزة حاجة.

- متتقمصيش بقى خلاص.. معلش يا مريم انتي عارفة إني مبحبش حد يصحيني من النوم بس.

- ماشي هعديها المرادي.. بس اعمل حسابك إن الكلام دا مش هينفع بعد الجواز.. انت عارف يا علي إن العصبية بتوترني.

- حاضر يا ستي.. ها قوليلي بقى كنتي عايزة إيه؟

- ممم.. كنت عايزاك تعزفلي حاجة على الكمانجة.

- نعم؟

- إيه في إيه؟! بقولك عايزاك تعزفلي حاجة على الكمانجة.

- انتي مجنونة يا حبيبتي؟

- وفيها إيه يعني يا علي.

- لا مفيش بس أصل.. أصلي نسيت الكمانجة في العربية من ساعة آخر مرة.. طب إيه رأيك تغنيلي انتي حاجة احسن؟

- ممم فكرة حلوة.. تحب أغنيلك إيه؟

- أي حاجة يا حبيبتي.. كل اللي ييجي منك حلو.

- أغنيلك فيروز؟

- مثلا.

- ممم.. عندي ثقة فيك.. عندي أمل فيك.. وبيكفيك.. شو بدك يعني أكتر بعد فيك؟ عندي حلم فيك.. عندي ولع فيك.. وبيكفيك.. شو بدك إنو يعني موت فيك؟ والله رح موت فيك.. صدق إذا فيك.. وبيكفيك.. شو بدك مني إذا متت فيك؟ معقول في أكتر؟ أنا ما عندي أكتر.. كل الجمل يعني عم تنتهي فيك.. عندي ثقة فيك وبيكفيك.. ها إيه رأيك؟ علي.. علي انت نمت؟!

- بحبك.

****

الجمعة ٤ مايو ٢٠١٨
الساعة الحادية عشر والنصف مساء

"٤ مايو ٢٠١٨.. يتهيألي إن آخر حاجة المفروض أكون بعملها دلوقتي هي إني أسجل مذكرات.. ليه؟ عشان النهاردة فرحي، أو بمعني أصح دلوقتي فرحي.. يا ترى إيه الدافع اللي ممكن يخلي واحد يركن عربيته قدام الفندق اللي فيه فرحه ويسيب الفرح بالمعازيم بالعروسة عشان يقعد يسجل مذكرات قبل ما يدخل؟ مش عارف.. ومش عارف كمان ليه عيني بتدمع دلوقتي.. ليه إيدي بتترعش.. مع إني مش خايف، مش عارف أصلا إذا كنت فرحان ولا متضايق.. إحساس غريب أوي أول مرة أحسه.. زي ما تكون دي النهاية.. نهاية تقليدية لفيلم أبيض وأسود.. بس كان نفسي باقي الأبطال يبقوا معايا.."

- ألو.

- انت فين يا علي اتأخرت كدا ليه؟! بقالي ساعة قاعدة مستنياك والمعازيم تحت بدأوا يسألوا علينا.

- معلش يا حبيبتي والله السكة كانت زحمة شوية بس.. أنا خلاص وصلت أهو.

- طيب يلا اطلعلي على أوضة ١٧٣ بسرعة.. مستنياك.

- حاضر، دقيقة بالظبط وهكون عندك.

مضى علي إلى الفندق ثم ذهب ليلقي بنظرة سريعة على قاعة حفل الزفاف قبل أن يلتقي بفاتنة ليلاه ويمضيان بين الناس، تفاجأ بكثرة عدد الحضور ما بين وجوه لا يتذكر أنه قد رآها من قبل وأخرى يعرفها جيدا، لم تكن الليلة أشبه بحفلات الزفاف التقليدية.. حيث إن العروسين كان لهما ذوق رفيع في تصميم حفل زفاف راق ومميز، قليل من الأضواء الصاخبة مع كثير من الشموع التي تضفي على أرجاء المكان لونا أصفرا هادئا، مزيجا بين موسيقى "فرانك سيناترا" و"ديميس روسوس" و"لويس أرمسترونغ" يعزفه فريق من أولي الخبرة وتطرب عليه فتاة ذات صوت ناعم في خلفية ضجيج الحضور، الجميع لا يزال محتفظا بأماكنه على الطاولات.. يطلقون الضحكات العريضة ويتبادلون النميمة على بعضهم بعضا في انتظار مجيء العروسين وانطلاق الصخب، تغطي روائح عطورهم على رائحة أوراق الفل المتناثرة في جميع أنحاء المكان.. وتلفت أناقتهم أنظار بعضهم البعض عن الشاب الوسيم ذو البدلة السوداء وربطة العنق اللامعة الذي يلتمس النظر عليهم من بعيد.

صعد علي إلى الغرفة رقم مئة ثلاثة وسبعون ليأخذ عروسه ويتوجهان إلى قاعة حفل الزفاف، طرق الباب عدة مرات حتى فتحت له إحدى صديقات العروس والتي تركت لهم الغرفة على الفور بعد أن عانقت صديقتها وباركت لهما على الزواج، اقترب الأخير من عروسه الجالسة أمام المرآة والتي كانت تبدو في أبهى صورها.

- إيه القمر دا؟!

التفت مريم عند سماعها تلك الكلمات وسألت مبتسمة:

- بجد يا علي الفستان عجبك؟

- وعجبتني أكتر صاحبة الفستان.

- وانت كمان يا حبيبي شكلك حلو أوي.

- طب إيه مش يلا بينا ولا هنقضيها هنا؟

- يلا أنا جاهزة.

- هاتي إيدك.

في تمام الثانية عشر مساء وبعد أن طال انتظار الناس حضر العروسان إلى حفل زفافهم وحضرت معهم موجة حارة من التصفيق والزغاريد لتهز أرجاء المكان، ورود تلقى عليهم من كل جانب بينما يزاول فريق الزفاف عمله من طبل وغناء.. دقائق معدودة ووصل العروسان إلى الكوشة لتعود الأجواء إلى ما كانت عليه من هدوء بينما يذهب البعض ليبارك لهم بصورة شخصية، كان لأمرا سعيدا أن يرى علي من بين الوافدين وجهين قد افتقد لرؤيتهم كثيرا.. وجهين يعرفهما جيدا.

- الله دا الحبايب وصلوا أهم.

وصل كل من نغم والعم كمال وعلى وجهيهما ابتسامات عريضة:

- ألف ألف ألف مبروك يا علي يابني.

- مبروك يا لولووو.

أجابهم الأخير وعلى وجهه ذات الابتسامة:

- الله يبارك فيكم.

- ألف مبروك يا عروسة.. صبرت ونولت يا واد يا علي.

- الله يبارك في حضرتك ميرسي.

- مبروك يا عروسة.

- الله يبارك فيكي يا حبيبتي.. مش تعرفنا يا علي؟

- بس كدا؟ أعرفك يا ستي.

رفع علي يده مشيرا إلى العم كمال بينما تابع حديثه:

- دا عم كمال اللي حكتلك عنه.. تقدري تعتبريه كدا أبويا التاني.

- اه طبعا دا علي حكالي عن حضرتك كتير.. أهلا وسهلا.

- أهلا بيكي يا بنتي.

تابع علي حديثه قائلا:

- يعني أي مشاكل أي حاجة أديكي عرفتي هتروحي تشتكيني لمين.. ودي بقى يا ستي..

قاطعته مريم قائلة:

- نغم صح؟

- إيه دا عرفتي منين؟

- عرفت منين إيه انتي كمان.. ما باين إنك نغم!

- باين إني نغم؟! اوعى يا واد انت تكون قولتلها عني حاجة وحشة.

- لالا والله حرام دا على طول بيشكر فيكي وبيقول إنك أعز صاحبة ليه.

- أهو.

- ماشي يا عم.. وانتي اعملي حسابك هنبقى صحاب ها.

- أكيد يا حبيبتي.

قال علي:

- اه يا خوفي.

- يلا هنسيبكوا احنا بقى تحبوا في بعض شوية على ما نروح نلعب في البوفيه.. يلا بينا يا عمو؟

- يلا يا حبيبتي.

رحلت نغم برفقة العم كمال بينما أكمل الآخرون حديثهم:

- دمهم خفيف أوي.

- ما هما دول اللي كانو مصبرينني على العيشة برة.. بقولك إيه يا حبيبتي أنا هطلع بس أشرب سيجارة في اللوبي وراجع على طول.

- حبكت يعني يا علي؟!

- معلش بقى انتي عارفة مش هستحمل أقعد كدا.. وبعدين فرصة الناس ملخومة في البوفيه.

- طيب بس متتأخرش.

- حاضر.

مضى علي في طريقه إلى صالة استقبال الفندق ليحقق رغبته في تدخين سيجارة والابتعاد عن ضجيج الحفل لبضعة دقائق.

- أستاذ.. يا أستاذ لو سمحت.

التفت علي عند سماعه ذاك النداء آت من خلفه ليجد أحد موظفي الاستقبال بالفندق:

- أنا؟

- أيوة يا فندم.. مش حضرتك أستاذ علي العريس؟

- أيوة أنا.. خير فيه حاجة؟

- في حد سأل على حضرتك من ييجي ربع ساعة تقريبا واسمه مكانش على ليستة المعازيم اللي استلمناها.. هو قاللي إنه هيقعد هنا يستنى حضرتك لحد ما تخرج.

- حد مين يعني؟.. اسمه إيه؟

- هيكون مين غيري يعني يا أبو شام.

التفت علي فور سماعه تلك الكلمات لتتبدل ملامحه ويتفاجأ بعودة أعز أصدقائه والذي كان يظن أنه لن يلتقي به مجددا، صمت للحظة حتى استوعب الأمر ثم ضم الأخير إلى عنقه ورفع صوته قائلا:

- عاااهاهاها وحشتني يابن اللذينة!

- وانت كمان.. ألف مبروك يا صاحبي.

- الله يبارك فيك.. مش عارف المفروض أقولك كنت فين الفترة اللي فاتت ولا أعتذرلك تاني عن اللي حصل زمان ولا أقول إيه بس.

- متقولش حاجة.. اللي حصل زمان أنا نسيته من وقتها، ويا سيدي أنا كنت في مصحة بتعالج ولسه خارج من أسبوع.

- عرفت منين طب إني بتجوز ولا جبت منين مكان الفرح؟

- ما انت عارف يا أبو شام إني مبغلبش.. المهم، أنا جيت بس عشان أباركلك وأوصلك أمانة معايا بقالها زمن.

- أمانة إيه؟

- تعالى معايا.

لحق علي بصديقه حتى خرجوا من الفندق إلى جراج السيارات ثم توقفا أمام إحدى السيارات المركونة، فتح خالد الحقيبة الخلفية للسيارة ليخرج منها صندوقا خشبيا يعرفه الأخير خير معرفة.

الكمانجة بتاعتك.

- إيه دا جبتها منين؟!

- لما سيبتك ورجعت إسكندرية مريم جاتلي البيت تاني يوم عشان تبلغني رسالتك، ساعتها اتعصبت ودبيت معاها خناقة ويمكن أكون طردتها كمان.. بعدها بشوية لما هديت ودورت الموضوع في دماغي لقيت إن كان معاها حق في كلام كتير قالته وإن في حاجات كتير كنت فاهمها غلط، فا بصراحة قولت مبدهاش بقى.. أنا هبعت أصالحها وهجيلك نلم الدنيا ونتصالح احنا كمان.. تاني يوم الصبح روحت الشاليه ملقيتكش، سألت عليك عيل كدا شغال هناك اسمه عبادة وقاللي إنك مشيت من ساعتين وإنه لقى الصندوق دا على البحر ولقى تحته فلوس وورقة مكتوب عليها اسمه.

تعطل رأس علي عن الاستيعاب وباتت ملامح العجب واضحة على وجهه بينما أكمل الأخير حديثه قائلا:

- مكدبش عليك ساعتها شكيت في حوار اسمه اللي على الورقة دا والفلوس.. بس لما رجعت بصيت على الورقة تاني لقيت الاسم فعلا مكتوب بخط إيدك، وبيني وبينك قولت ماهو لو كان عايز الفلوس كان خدها من غير ما يجيبلي سيرة.. فا سيبتله الفلوس ومشيت، بس.. ومن ساعتها والكمانجة دي معايا.

- ثانية واحدة بس.. انت تقصد إن ليلى مخدتش الكمانجة؟!

- ليلى مين؟!

- لا ولا حاجة.

- مالك يا صاحبي انت كويس؟

- أنا تمام مفيش حاجة.. هي الساعة كام في إيدك؟

نظر خالد إلى ساعته بينما قال:

- الساعة دلوقتي يا سيدي داخلة على واحدة.

****

" مساء الخير عليكم.. أولا أنا حابب أشكركم جميعا على تشريفكم لينا الليلادي.. ثانيا وبما إن أغلبكم ميعرفنيش فا أنا حابب كمان أعرفكم بنفسي قبل ما أقول أي حاجة.. أنا علي.. علي الشامي، يمكن اللي أعرفه عن نفسي مش كتير لدرجة إني أقف كدا قدام حضراتكم وأقول أكتر من اسمي، بس مش مهم.. عشان يتهيألي إن كل اللي حضراتكم محتاجين تعرفوه عني هو إني بحب البنت دي.. بحبها بجد، بحبها من أول مرة شوفتها في الجامعة وهفضل أحبها طول عمري.. عشان كدا أنا حبيت أعملها مفاجأة النهاردة وأعزفلها مع الفرقة أغنية كانت سبب في يوم إني أقابلها من تاني، يمكن حتى من غير ما هي تعرف.. شكرا".

♫♪♪♫♪♪♫♫

ماليش أمل في الدنيا دي.

غير اني أشوفك متهني.

حتى إن لقيت إن بعدي.

راح يسعدك، ابعد عني.

أما أنا مهما جرى.

هفضل أصون عهد الهوا.

و إن غبت يوم ولا سنة.

هفضل أنا.. هفضل أنا برضه أنا.

♫♪♪♫♪♪♫♫

انتهت الأغنية.. وتوقفت حركة القوس على أوتار الكمان العتيق.. دقت الساعة الواحدة.. ورأى علي بين الحضور أجمل وجه يمكن لأى إنسان أن يراه.. بشرة بيضاء انعكست عليها أضواء الشموع لتضيف لجمالها جمالا.. عيون زرقاء وصافية كمياه بحر لم يعكر صفوها البشر منذ عقود.. شعر أصفر يكاد يصل إلى خصرها.. وبعض بقاع النمش التي سقطت من فرشاة الخلاق عندما كان يرسمها.. كانت جميلة لدرجة جعلته يشك للحظة أنها...

- ليلى؟!

تمت

٢٠١٨/٦/١٥

جميع حقوق النشر محفوظة. ولا يحق لأي شخص
أو مؤسسه أو جهة إعاده إصدار هذا الكتاب. أو جزء منه .
أو نقله بأي شكل من الأشكال او تدواله الكترونيا نسخا
أو تخزينا دون إذن خطي من الدار